

# تلخيص السيرة النبوية

الشيخ محمد هارون عبد الرازق  
(١٢٨٣ - ١٣٤٠ هـ)

• صدرت الطبعة الأولى فى قسمين:

- ١- تلخيص الدروس الأولى فى السيرة المحمدية (لطلبة السنة الأولى من طلاب العلم الشريف بالمعاهد العلمية الدينية) - ١٣٢٩ هـ .
  - ٢- تلخيص دروس السيرة المحمدية (لطلبة السنة الثانية من طلاب العلم الشريف بالمعاهد العلمية الدينية) - ١٣٣٠ هـ .
- طبع مطبعة الجمالية - لأصحابها محمد أمين الخانجى وشركاه - وأحمد عارف.

• الطبعة الثانية: تلخيص السيرة النبوية - ١٤٢٠ هـ

دار النشر للجامعات

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم وإهداء الطبعة الثانية

هذه طبعة جديدة من كتاب:

### "تلخيص الدروس الأولية في السيرة المحمدية"

أهديها إلى جدي الذي لم أره، وقد كتبه قبيل تسعين عاماً (١٣٢٩-  
١٣٣٠ هـ) في قسمين، ليدرس حيناً من الدهر طويلاً في المعاهد الأزهرية،  
استخرجتها من القسمين في سرد موحد متصل لا تكرر فيه.

كما أهديتها إلى والدي الذي نبه إلى هذا الكتاب القيم في مقدمة مؤلفه:

تهذيب سيرة ابن هشام.

غفر الله لهما وتقبل منهما ما أسدياه لجلاء سيرة النبي العدنان، عليه

أفضل الصلاة و أتم السلام.

نبيل عبد السلام هارون - ٢٤ ربيع ثان ١٤٢٠

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة المؤلف للطبعة الأولى

### ١- القسم الأول

الحمد لله رب البرية. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب السيرة الحميدة المرضية. وعلى آله وأصحابه ذوى المقامات الرفيعة العلية. (أما بعد) فقد دعيت إلى تلخيص دروس ثلاثم المبتدئين فى علم السيرة المحمدية، طبقاً لنموذج المعاهد العلمية الدينية، فلخصت مقرر السنة الأولى فى ثلاثين درسا.

### ٢- القسم الثانى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وصحبه والسائرين على سننه القويم إلى يوم الدين (أما بعد) فقد لخصت المواضيع المخصصة لطلبة السنة الأولى من طلاب العلم بالمعاهد الدينية فى علم السيرة المحمدية حسب النموذج المقرر على هؤلاء الطلبة، ثم رأيت أن أخص المواضيع المخصصة لطلبة السنة الثانية فى هذا العلم على حسب النموذج المقرر عليهم مرتباً على ثلاثين درسا، مراعيأ فى كلا التلخيصين درجات هؤلاء الطلاب فى الإدراك و المعرفة.

## نسب النبي صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه

هو سيدنا ونبينا محمد سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين  
ابن عبد الله بن عبد المطلب (١) بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم بن  
مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة  
ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا هو النسب المتفق على صحته، كما اتفقوا على أن النسب المحمدي  
الشريف يتصل بسيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ولكن  
لسلسلة النسب بين عدنان وسيدنا إسماعيل عليه السلام لم يثبت علمها من طريق  
صحيح.

فالجد الأول للنبي صلى الله عليه وسلم هو عبد المطلب بن هاشم وكان  
شيخاً معظماً في قريش يحترمونه ويرجعون إليه في مهمات أمورهم.

وأمه صلى الله عليه وسلم هي أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة  
ابن حكيم بن مرة الذي هو الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة  
أبيه.

مما سبق تعلم أن أباه وأمه صلى الله عليه وسلم من أصل واحد، وأنهما  
يجتمعان في حكيم بن مرة (١) وأن عبد مناف بن زهرة الذي هو الجد الثاني  
للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة أمه غير عبد مناف الجد الثالث للنبي صلى  
الله عليه وسلم من جهة أبيه.

(١) وكان يسمى كلاباً

ومن جدودهما فهر الذى هو (قريش) <sup>(٢)</sup> الذى تفرعت منه اثنتا عشرة  
قبيلة سميت باسمه منهم بنو عبد مناف الذى هو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه  
وسلم، فهو صلى الله عليه وسلم من صميم قريش المشهود لهم بالشرف ورفعة  
الشأن بين العرب.

وأجداده من جهة أبيه وأمه كلهم سادة كرام، وكل اجتماع بين أجداده  
وزوجاتهم كان شرعياً بحسب الأصول العربية، فلم يكن فى نسبه الشريف شيء  
من سفاح الجاهلية فهو نسب شريف طاهر من آباء طاهرين وأمهات طاهرات  
والحمد لله رب العالمين.

### مولده صلى الله عليه وسلم

تزوج عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم أمنة بنت وهب بن عبد  
مناف بن زهرة بن حكيم؛ وعمره ثمانى عشرة سنة، وهى يومئذ من أفضل  
نساء قريش نسباً وأكرمهم خلقاً. ولما دخل بها حملت برسول الله صلى الله عليه  
وسلم، وسافر والده عبد الله عقب ذلك بتجارة له إلى الشام فأدركته الوفاة بالمدينة  
(يثرب) وهو راجع من الشام، ودفن بها عند أخواله بنى عدى بن النجار، وكان  
ذلك بعد شهرين من حمل أمه أمنة به صلى الله عليه وسلم.

وقد توفى والد النبي صلى الله عليه وسلم قبل مولده بشهرين، ولم يترك  
من المال إلا خمساً من الإبل وأمهته (أم أيمن).

---

<sup>(٢)</sup> قريش هو عاشر أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وإليه تنسب أمة قريش كلها.

ولما تمت مدة الحمل ولدته صلى الله عليه وسلم بمكة المشرفة في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، الذي يوافق سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وهو العام الذي أغار فيه ملك الحبشة على مكة بجيش تتقدمه الفيلة قاصداً هدم الكعبة (البيت الحرام) فأهلكهم الله تعالى.

كانت ولادته صلى الله عليه وسلم في دار عمه أبي طالب في شِعب بنى هاشم <sup>(١)</sup>.

وسماه جده عبد المطلب (محمدًا) ولم يكن هذا الاسم شائعاً إذ ذاك عند العرب ولكن الله تعالى ألهمه إياه فوافق ذلك ما جاء في التوراة من البشارة بالنبى الذى يأتى من بعد عيسى عليه الصلاة والسلام مسمى بهذا الاسم الشريف <sup>(٢)</sup>.

كما جاءت البشارة به صلى الله عليه وسلم على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام باسمه أحمد، وكانت قابله صلى الله عليه وسلم الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف وحاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه عبد الله.

---

(١) أى مساكنهم المجتمعة فى بقعة واحدة.

(٢) لأنه قد جاء فى التوراة ما هو صريح فى البشارة بنبى تتطابق أوصافه تمام الانطباق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: مسمى، أو موصوفاً بعبارة ترجمتها هذا الاسم، وقد سُمى بأحمد كما سُمى بمحمد صلى الله عليه وسلم.

(فائدة) قد ورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً، وورد أيضاً أن جده عبد المطلب خنته يوم السابع من ولادته الذى سماه فيه.

## رضاعه صلى الله عليه وسلم

أرضعته صلى الله عليه وسلم أمه عقب الولادة، ثم أرضعته ثويبة أمة عمه أبي لهب أياماً، ثم جاء إلى مكة نسوة من البادية يطلبن أطفالاً يرضعنهم ابتغاء المعروف من آباء الرضعاء على حسب عادة أشرف العرب، فإنهم كانوا يدفعون بأولادهم إلى نساء البادية يرضعنهم هناك حتى يتربوا على النجابة والشهامة وقوة العزيمة، فاخترت لإرضاعه صلى الله عليه وسلم من بين هؤلاء النسوة (حليمة) بنت أبي ذؤيب السعدية<sup>(٣)</sup> فأخذته معها بعد أن استشارت زوجها (أبو كبشة) الذي رجا أن يجعل الله لهم فيه بركة، فحقق الله تعالى رجاءه وبدل عسرهم يسراً، فدرّ ثديها بعد أن كان لبنها لا يكفي ولداً، ودرّت ناضجاً حتى أشبعتهم جميعاً بعد أن كانت لا تغنيهم، وبعد أن وصلوا إلى أرضهم كانت غنمهم تأتيهم شباعاً غزيرة اللبن مع أن أرضهم كانت مجدبة في تلك السنة، واستمروا في خير وبركة مدة وجوده صلى الله عليه وسلم بينهم.

ولما كمل له سنتان فصلته حليمة من الرضاع، ثم أتت به إلى جده وأمه وكلمتهما في رجوعها به وإبقائه عندها فأذنا لها بذلك.

## حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم

بعد عودة حليمة السعدية به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى ديار بنى سعد بأشهر، بعث الله تعالى ملكين لشق صدره الشريف وتطهيره، فوجداه صلى الله عليه وسلم مع أخيه من الرضاع خلف البيوت، فأضجعا وشقفا صدره

(٣) من بنى سعد بن بكر من قبيلة هوازن: كانت منازلهم بالبادية بالقرب من مكة المكرمة.

الشريف وطهره من حظ الشيطان، وكان ذلك الشق بدون مدية ولا آلة بل كان بحالة من خوارق العادة ، ثم أطبقاه ، فذهب ذلك الأخ إلى أمه حليلة وأبلغها الخبر ، فخرجت إليه هي وزوجها فوجداه صلى الله عليه وسلم منتقع اللون من آثار الروع ، فالتزمته حليلة والتزمه زوجها حتى ذهب عنه الروع ، فقص عليهما القصة كما أخبرهما أخوه. وقد أحدثت هذه الحادثة عند حليلة وزوجها خوفاً عليه، وبما زادها خوفاً أن جماعة من نصارى الحبش كانوا رأوه معها قتلوه متهماً ليذهبوا به إلى ملكهم، فخشيت عليه من بقائه عندها، فعادت به صلى الله عليه وسلم إلى أمه وأخبرتها الخبر، وتركته عندها مع ما كانت عليه من الحرص على بقائه معها.

### وفاة أمه صلى الله عليه وسلم وكفالة جده وعمه له

بعد أن عادت حليلة السعدية به صلى الله عليه وسلم إلى أمه - وكان إذ ذاك في السنة الرابعة من عمره الشريف - بقى مع أمه وجده عبد المطلب بن هاشم بمكة في حفظ الله تعالى، ينبته الله نباتاً حسناً ، ثم سافرت به أمه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة لزيارة أخواله هناك من بنى عدى بن النجار ، فتوفيت وهي راجعة به من المدينة إلى مكة بجهة (الأبواء) بالقرب من المدينة ودفنت هناك ، فقامت به إلى مكة حاضنته أم أيمن وقد بلغ من العمر يومئذ ست سنين، ولما وصلت إلى مكة كفله جده عبد المطلب بن هاشم، وحن إليه حناناً زائداً وعطف عليه عطفاً بليغاً، حتى توفي عبد المطلب وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين.

وكان جده عبد المطلب يوصى به عمه أبا طالب -الذى هو الأخ الشقيق لأبيه- فلما مات عبد المطلب كان صلى الله عليه وسلم فى كفالة عمه أبى طالب يشب على محاسن الأخلاق، متباعداً عن صفات الأمور التى يشتغل بها الصبيان عادة ، وقد بارك الله تعالى لأبى طالب فى الرزق مدة وجوده صلى الله عليه وسلم فى كفالته وفى وسط عياله.

### سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب إلى الشام

لما أراد أبو طالب أن يسافر إلى الشام فى تجارة له رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرافقه، فأخذه معه وسنه إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ، ولما وصلوا بصرى وهى أول بلاد الشام من جهة بلاد العرب قابلهم بها راهب من رهبان النصرى اسمه (بحيرا) - كان يقيم فى صومعة له هناك - فسألهم عن ظهور نبي من العرب فى هذا الزمن، ثم لما أمعن النظر فى النبي صلى الله عليه وسلم وحادثه عرف أنه النبي العربى الذى بشر به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وقال لعمه أنه سيكون لهذا الغلام شأن عظيم، فارجع به واحذر عليه من اليهود ، فلم يمكث أبو طالب فى رحلته هذه طويلاً بل عاد به إلى مكة حين فرغ من تجارته، وبقي صلى الله عليه وسلم فى مكة مثال الكمال،

محفوظاً من معائب أخلاق الجاهلية، شهماً شجاعاً حتى إنه حضر مع أعمامه حرب (الفجار) <sup>(١)</sup> وحلف الفضول <sup>(٢)</sup> وسنه إذ ذاك عشرون سنة.

### رحلته إلى الشام مرة ثانية في تجارة لخديجة بنت خويلد

كان طريق الكسب في قريش هي التجارة، وكانت خديجة بنت خويلد من بنى أسد بن عبد العزى بن قصي سيدة ذات مال، تتاجر في مالها بطريق المضاربة مع من تثق بهم من الرجال، فلما سمعت بأمانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه حتى اشتهر بين قومه باسم (الأمين) بعثت إليه، وعرضت عليه أن يسافر بمال لها إلى الشام وتعطيه من الربح أكثر مما كانت تعطى غيره، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسافر مع غلامها <sup>(١)</sup> ميسرة فباع واشترى وعاد بريح عظيم.

وقد شاهد ميسرة في هذه الرحلة كثيراً من بركات النبي صلى الله عليه وسلم وإكرام الله تعالى له، فإنه صلى الله عليه وسلم لما قدم الشام نزل في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب هناك، فقال هذا الراهب لميسرة أنه ما نزل

---

<sup>(١)</sup> هي حرب كانت بين قبيلة كنانة ومعها حليفها قريش وبين قبيلة قيس، وقد ابتدأت هذه الحرب فيما بين مكة والطائف ووصلت إلى الكعبة، فاستحلت حرمت هذا البيت الذي كان مقدساً عند العرب ولذلك سميت حرب (الفجار).

<sup>(٢)</sup> حلف الفضول كان عقب هذه الحرب، وهو تعاهد بطون قريش على أن ينصروا كل من يجدونه مظلوماً بمكة سواء كان من أهلها أو من غير أهلها.

<sup>(١)</sup> أى مملوكها.

تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، وكان ميسرة يشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظلاً من حر الشمس وهو يسير على بعير بدون أن تكون معه مظلة.

## زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة بنت خويلد

لما قدم ميسرة إلى سيدته خديجة الحازمة اللبية، وأخبرها بما شاهده من بركات النبي صلى الله عليه وسلم وإكرام الله تعالى له، بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له: يا ابن عم (٢)، إني قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وصدق حديثك (٣)، وكانت خديجة مرغوباً فيها لشرف نسبها ورفعها قدرها بين قومها، فعرض النبي صلى الله عليه وسلم الأمر على أعمامه فوافقوه على زواجه صلى الله عليه وسلم، بها وتوجهوا معه إليها، وأتموا عقد الزواج بينهما، وتولاه عنها عمها (عمرو بن أسد)، كما تولاه عن النبي صلى الله عليه وسلم عمه (أبو طالب)، وكان صداقها عشرين بكرة، وكان سن السيدة خديجة أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة، ولم يتزوج عليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفيت رضى الله عنها، وكانت متزوجة قبله صلى الله عليه وسلم برجل اسمه (هند)، ولدت منه ولداً اسمه (هالة)، فكان

(٢) خاطبته بابن العم على عادة العرب من تخاطب الأقرباء من جهة الأبوة بابن العم، حيث يجتمع أصولهما في (قصي) فإنها من بني أسد بن عبد العزى بن قصي.

(٣) وكانت خديجة قد ذكرت ما سمعت من غلامها ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل - من المتتبعين للكتب والأخبار - فكان يقول لها: يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كان لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا زمانه.

ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد مكث صلى الله عليه وسلم بعد زواجه بالسيدة خديجة يشتغل بالتجارة والتسك، حتى بعثه الله رحمة للعالمين.

### سيرته صلى الله عليه وسلم في قومه قبل النبوة

قد علمت أن الله تعالى قد أكرم آل حليلة السعدية التي أضعته صلى الله عليه وسلم، فبذل عسرهم يسراً وأشبع غنيماتهم وأدر ضروعها في سنة الجذب والشدّة، كما بارك سبحانه وتعالى في رزق عمه أبي طالب حينما كان في كفالته، مع ضيق ذات يده، وأنه سبحانه وتعالى كان يسخر له الغمامة تظله وحده من حر الشمس في سفره إلى الشام، فتسير معه أنى سار دون غيره من أفراد القافلة.

وكان سبحانه وتعالى يلهمه الحق ويرشده إلى المكارم والفضائل في أموره كلها، حتى إنه كان إذا خرج لقضاء الحاجة في صغره بعد عن الناس حتى لا يرى.

وكان سبحانه وتعالى يكرمه بتسليم الأحجار والأشجار عليه، ويُسمعه ذلك فيلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحداً.

وقد كان علماء اليهود والنصارى - رهبانهم وكهنتهم - يعرفون زمن مجيئه صلى الله عليه وسلم مما جاء من أوصافه في التوراة وما أخبر به المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فكانوا يسألون عن مولده وظهوره وقد عرفه كثيرون منهم لما رأوا ذاته الشريفة أو سمعوا بأوصافه وأحواله صلى الله عليه وسلم.

وقد نشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ممتازاً بكمال الأخلاق، متباعداً في صغره عن السفاسف التي يشتغل بها أمثاله في السن عادة، حتى بلغ

مبلغ الرجال فكان أرجح الناس عقلاً، وأصحهم رأياً، وأعظمهم مروءة، وأصدقهم حديثاً، وأكبرهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش، وقد لقبه قومه (بالأمين)، وكانوا يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم.

وقد حفظه الله تعالى منذ نشأته من قبيح أحوال الجاهلية، وبغض إليه أوثانهم حتى إنه من صغره كان لا يحلف بها ولا يحترمها ولا يحضر لها عيداً أو احتفالاً، وكان لا يأكل ما ذبح على النصب (١)

ولقد كان صلى الله عليه وسلم لين الجانب يحن الى المسكين، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه، ولم يكن يشرب الخمر مع شيوع ذلك في قومه، ولا يزنى ولا يسرق ولا يقتل، بل كان ملتزماً لمكارم الأخلاق التي أساسها الصدق والأمانة والوفاء.

وبالجملة حفظه الله تعالى من النقائص والأدناس قبل النبوة كما عصمه منها بعد النبوة.

وكان يلبس العمامة والقميص والسراويل، ويتزر ويرتدى بأكيسة من القطن، وربما لبس الصوف والكتان، ولبس الخف والنعال وربما مشى بدونها. وركب الخيل والبغال والإبل والحمير. وكان ينام على الفراش تارة وعلى الحصير تارة وعلى السرير تارة وعلى الأرض تارة، ويجلس على الأرض، ويخصف<sup>(١)</sup> نعله ويرفع ثوبه، واتخذ من الغنم والرقيق من الإماء والعبيد بقدر الحاجة. وكان من هديه في الطعام ألا يرد موجوداً ولا يتكلف مفقوداً.

(١) النصب هي حجارة كانوا ينصبونها ويصبون عليها دم الذبائح ويعبدونها.

(١) خصف النعل: خرزها وأصلحها.

## شهوده صلى الله عليه وسلم بناء الكعبة

الكعبة هي أول بيت وضع في الأرض للعبادة، وقد بناها سيدنا إبراهيم الخليل مع ولده سيدنا إسماعيل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ثم جدد بناؤها من بعده ثلاث مرات، وكان بناؤها من الصخر وارتفاعها فوق القامة.

ويقال أن أول من بناها سيدنا آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام، وقد وصلوا في نقض أنقاضها إلى أساس سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ويقال أنهم وجدوا هناك صحافاً منقوشاً فيها كثير من الحكم تذكرة للمتأخرين، وقد تحرى أشرف قريش أن تكون نفقة بنائها من طيب أموالهم؛ فكانوا لا يدخلون في نفقتها مهر بغي ولا مال ربا، ولما ضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامها على قواعد سيدنا إبراهيم عليه السلام أخرجوا منها الحجر، وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة على أنه منها.

وعندما بلغ سن النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة، اتفق أن نزل سيل عظيم بمكة أثر في جدران الكعبة فأوهنها -على ما كانت عليه من الضعف بسبب حريق أصابها من قبل، فاجتمعت قبائل قريش وشرعوا في هدمها وبنائها بناء مرتفعاً، وكان الأشراف منهم يتسابقون في نقل الحجارة وحملها على أعناقهم، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يحمل الحجارة وينقلها إلى مكان البناء، مع عمه العباس رضى الله عنه.

لما تم بناء الكعبة<sup>(١)</sup> وأرادت قريش وضع الحجر الأسود في موضعه، اختلفت أشرافهم فيمن يضعه، وظلوا مختلفين أربعة أيام، فأشار عليهم أبو أمية

(١) بارتفاع ثمانين عشر ذراعاً، بحيث يزيد عن أصله تسعة أذرع، وقد رفع الباب بحيث

لا يصعد إليه بدرج.

الوليد بن المغيرة - وهو أكبرهم سناً - بأن يحكموا بينهم من يرضون بحكمه، فاتفقوا على أن يكون الحكم لأول قادم من باب الصفا<sup>(٢)</sup>. فكان أول داخل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتاحوا جميعاً بما يعهدونه من أمانته وحكمته وصدقه وإخلاصه للحق، وقالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر بسط رداءه، وتناول الحجر فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعه جميعاً، ففعلوا حتى وصلوا به إلى موضعه؛ فوضعه فيه بيده صلى الله عليه وسلم، وبذلك انتهت هذه المشكلة التي كادت تؤدي إلى الحرب والقتال فيما بينهم.

### معيشته صلى الله عليه وسلم قبل النبوة

سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم كان جده هاشم كبير قريش وسيدها، وكانت قريش أشرف قبائل العرب، وكانت إقامتهم بمكة وضواحيها، وكانت معيشتهم من التجارة في البز<sup>(٣)</sup> والثياب وما يحتاجه العرب، وكان لهم رحلتان تجاريتان إلى الشام إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء، وكان أكثر ما يقتنون من النعم الإبل والغنم للانتفاع بظهورها وألبانها وأصوافها وأوبارها. فلما بلغ سناً يمكنه فيه أن يعمل عملاً كان ينفق على نفسه من عمله، وقد كانت فاتحة عمله رعاية الغنم، كما هي سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفيائه؛ لتدريبهم على رعاية الخلق بالرفق الذي تمتدعيه هذه الرعاية،

(٢) أى من الجهة التي كان موضعها بعد بناء المسجد باب الصفا، من أبواب المسجد الحرام،

فإن المسجد لم يكن قد بنى وقتئذ.

(٣) البز: متاع البيت من جنس الثياب.

فكان ينفق من أجرة رعايته، ثم كان يتجر فيما كانت تتجر فيه قريش وينفق من كسب تجارته. وفي كل ذلك كان يعمل على قدر الحاجة، لا مستكثرًا من الدنيا ولا تاركًا لها تركًا كلياً، ليهيئه الله تعالى لما أَرَادَهُ سبحانه منه من التفرغ للدعوة إلى دينه القويم.

### تعبده صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

كان من العرب قبل الإسلام من ينتمى إلى دين اليهودية، ومنهم من يدين بالنصرانية- على ما فيهما من تغيير وتحريف، والباقون عبدة أصنام وأوثان، وكان على ذلك عامة قريش إلا نفرًا قليلاً منهم كانوا يعيرون على قومهم عبادة هذه التماثيل.

وقد فطر سيدنا محمد بن عبد الله -صلوات الله عليه وسلامه- على طهارة القلب وزكاء النفس. فطره الله تعالى على ذلك ليكون على تمام الصلاحية لتلقى شريعته المطهرة وإيصالها إلى الخلق على أتم وجه وأكمله.

فلذلك كانت نفسه الكريمة مجبولة على ما هو الحق، لا تعرف غيره، ولا تقبل سواه، فكان يأنف عن الباطل بطبعه ويألف الحق بسجيته، فلم يحكم عليه شيء من عادات قومه: لا فى تحسين باطل ممقوت، ولا فى تقييح حق مقبول.

ولقد كانت تلك فطرة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام التى فطر عليها قبل نبوته؛ كما كان ذلك شأن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: يفطرون على الإقبال على الله تعالى، وتتصرف همهم وأنفسهم الزكية قبل نبوتهم عما يكون عليه أقوامهم من باطل العقائد وفساد العادات والتعبادات.

نشأ صلى الله عليه وسلم مقبلاً على الله تعالى بقلبه، خالصاً لله تعالى، حينما لم يحم الشرك حول قلبه الكريم، فكان بأصل فطرته مبغضاً لهذه الأوثان، نافرًا من هذه المعبودات الباطلة، فلم يكن يحضر لها عيداً ولا يتقرب إليها

ولا يحفل بها، وإنما كان يعبد خالق الكون وحده، مقبلاً عليه سبحانه بما هو مظهر العبودية والإخلاص من تفكير وتمجيد.

وكان يطوف بالكعبة ويحج كما كان الناس يحجون اتباعاً لملة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. ولم يثبت من طريق صحيح التزامه التبعيد على شريعة أحد من الأنبياء السابقين صلوات الله عليهم أجمعين.

والذي ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يختلى في غار حراء<sup>(١)</sup> من كل سنة شهراً<sup>(٢)</sup>، يعبد الله تعالى بالتفكير، ويطعم المساكين مما كان يتزود به في مدة خلوته<sup>(٣)</sup>، وكان إذا انتهى من خلوته ينصرف إلى الكعبة فيطوف بها سبعاً أو ماشاء الله من ذلك قبل أن يرجع إلى بيته.

وقد كان يحب العزلة والخلوة من زمن طفولته إلى أن بعثه الله تعالى رحمة للعالمين.

وقبيل مبعته كان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح<sup>(٤)</sup>، فكان ذلك مقدمة لنبوته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ويسمى: جبل النور، وهو على يسار السالك إلى عرفة، وبه ذلك الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ضيق المدخل، ومساحته من الداخل تقرب من ثلاثة أمتار، وبه نزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم لأول مرة كما سيجيء، ويقال أن جده عبد المطلب كان يتعبد في حراء، ثم تبعه في ذلك من كان يتعبد منهم كورقة بن نوفل وأبي أمية بن العزى.

(٢) وكان يوافق ذلك شهر رمضان.

(٣) روى أنه كان يتزود الكعك والزيت، وكان كلما فرغ زاده رجع إلى أهله فتزود وعاد.

(٤) أى واضحة وصريحة كوضوح ضوء الصباح وإنارته، أى أنها تتحقق في اليقظة مثل ما يراها في المنام.

## بدء الوحي

لما كمل سنه صلى الله عليه وسلم أربعين سنة- وهو سن الكمال، أكرمه الله تعالى بالنبوة والرسالة رحمة للعالمين.

فبينما هو صلى الله عليه وسلم فى خلوته بغار حراء<sup>(١)</sup> إذ جاءه جبريل الأمين عليه السلام بأمر الله تعالى، ليبلغه رسالة ربه عز وجل<sup>(٢)</sup> فقال له: اقرأ، فقال له عليه الصلاة والسلام: ما أنا بقارئ (لأنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لم يتعلم القراءة)، فغطه جبريل عليه السلام فى فراشه غطا شديداً<sup>(٣)</sup> ثم أرسله فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فغطه ثانية ثم أرسله وقال له: اقرأ، فقال:

ما أنا بقارئ، ثم غطه الثالثة وأرسله فقال له: (أقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم). فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرف عنه جبريل عليه السلام وهو يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله يرجف فواده مما أدركه من الروع لشدة مقابلة الملك فجأة وشدة الغط التي اقتضاها الحال.

ولما رجع عليه الصلاة والسلام إلى أهله، ودخل على زوجته خديجة رضى الله عنها قال: زملوني زملوني<sup>(٤)</sup>. فلما ذهب عنه الروع أخبر خديجة رضى الله عنها بما كان، فقالت له: أبشر يا ابن عم واثبت، فإنى لأرجو أن تكون نبياً هذه الأمة، ثم ذهبت خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابن

(١) وكان ذلك فى شهر رمضان على أصح الروايات.

(٢) وقد تمثل جبريل عليه السلام فى هذه المرة بصورة رجل.

(٣) أى ضمه وعصره بشدة.

(٤) أى اطرحوا على الغطاء ولفوني به (ليذهب عنه الروع).

عمها ورقة بن نوفل، وكان شيخا كبيرا يعرف الإنجيل وأخبار الرسل، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى<sup>(٥)</sup>، ثم تمنى ورقة أن لو كان شابا يقدر على نصرته النبي صلى الله عليه وسلم عند ظهوره بأمر الرسالة ومعاداة قومه له؛ لأنه يعرف من أخبار الرسل أن قومهم يعادونهم في مبدأ أمرهم، ثم توفى ورقة بعد ذلك بزمن قريب.

### فترة الوحي وعودته

بعد هذه الحادثة فتر الوحي وانقطع مدة لا تقل عن أربعين يوما، اشتد فيها شوق النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوحي وشق عليه تأخره عنه، وخاف من انقطاع هذه النعمة الكبرى: نعمة رسالته عليه الصلاة والسلام بين الله عز وجل وبين عباده ليهديهم إلى صراطه المستقيم.

فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يمشى في أفنية مكة إذ سمع صوتا من السماء، فرفع بصره فإذا الملك الذي جاءه بغار حراء وهو جبريل عليه السلام، فعاد إليه الرعب الذي لحقه في بدء الوحي فرجع إلى أهله وقال: دَثْرُونِي دَثْرُونِي<sup>(١)</sup>، فأوحى الله تعالى إليه: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ)<sup>(٢)</sup> (وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ)<sup>(٣)</sup> (وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ)<sup>(٤)</sup> (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)<sup>(٥)</sup> (وَلَا تَمُنَّ بِتَسْتَكْثِرْ)<sup>(٦)</sup> (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)<sup>(٧)</sup>.

(٥) أي هذا الملك الذي جاءك هو الناموس؛ أي صاحب سر الوحي الذي نزله الله تعالى على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يعرف من الكتيب القديمة وأخبارها أن جبريل هو رسول الله إلى أنبيائه.

(١) التدشير بمعنى: التزميل السابق بيانه.

(٢) حذر الناس من عذاب الله إذا لم يفرده بالعبادة.

(٣) أي عظم ريبك وخصه بالتعظيم والإجلال.

فكان ذلك مبدأ الأمر له صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام وبعده ذلك تتابع الوحي ولم ينقطع.

## كيفية الوحي

للوحي طرق متنوعة وقد عرفت أن من مبادئه الرؤيا الصادقة، فرؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي من قبيل الوحي. ومن طرق الوحي أن يأتي الملك إلى النبي متمثلاً بصورة رجل، فيخاطب النبي حتى يأخذ عنه ما يقوله له ويوحى به إليه، وفي هذه الحالة لا مانع من أن يراه الناس أيضاً، كما حصل في كثير من أحوال الوحي لنبينا عليه الصلاة والسلام.

ومن طرق الوحي أيضاً أن يأتي الملك في صورته الأصلية التي خلقه الله تعالى عليها، ويراه النبي كذلك فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحى به، ولم يحصل هذا لنبينا عليه الصلاة والسلام إلا قليلاً.

ومن طرق الوحي أيضاً أن يلقي الملك في روع<sup>(١)</sup> النبي وقلبه ما يوحى به الله إليه، من غير أن يرى له صورة، وقد حصلت هذه الكيفية أيضاً لنبينا صلى الله عليه وسلم.

(٤) أى حافظ على الطهارة والنظافة من الأذى والأنجاس.

(٥) أى اترك المآثم والذنوب.

(٦) أى لا تتبع عطايك وهباتك بالطمع فى أخذ الزيادة ممن تعطيه.

(٧) أى اصبر على ما يلحقك من الأذى فى سبيل الدعوة إلى الإسلام ابتغاء وجه ربك.

(٨) الروع هو القلب.

وأحياناً كان يأتي الملك مخاطباً للنبي بصوت وكلام مثل صلصلة الجرس<sup>(٢)</sup>، وهذه الحالة من أشد أحوال الوحي على النبي، فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الوحي بهذه الكيفية يعرق حتى يسيل العرق من جبينه في اليوم الشديد البرد، وإذا أتاه وهو راكب تبرك به ناقته. وقد يكون الوحي بكلام الله تعالى للنبي بدون واسطة الملك، بل من وراء حجاب، كما حصل ليلة الإسراء لنبينا صلى الله عليه وسلم.

### الدعوة إلى الإسلام سرا

على إثر عودة الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد فترته، قام عليه الصلاة والسلام بأمر الدعوة إلى ما أمره الله تعالى به من إرشاد الثقلين: الإنس والجن جميعاً إلى توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة دون سواه من الأصنام والمخلوقات، وأرشد الله تعالى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أن يبدأ بالدعوة سراً؛ فكان يدعو إلى الإسلام من يطمئن إليه ويثق به من أهله وعشيرته الأقربين ومن يليهم من قومه، واستمر على ذلك ثلاث سنين مثابراً على الدعوة إلى الله تعالى خفية، حتى آمن به أفراد قلائل كانوا يقيمون صلاتهم ويؤدون ما أمروا به من شعائر الدين، مستخفين عن سواهم لا يظهرون بذلك في مجامع قريش؛ بل كان الواحد منهم يخفى بعبادته عن أهله وولده، ولما بلغ عددهم نحو الثلاثين، وكان من اللازم اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم لإرشادهم وتعليمهم، اختار لهم عليه الصلاة والسلام داراً فسيحة لأحدهم<sup>(١)</sup> فكانوا يجتمعون

(٢) أى صوته.

(١) وهى دار الأرقم بن الأرقم.

فيها، واستمروا على ذلك يزيد عددهم قليلا قليلا حتى أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة.

### الباعث على الإسرار بالدعوة

فى أول ما نزل الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - فى أواخر شهر رمضان من السنة المتممة للأربعين من عمره الشريف بغار حراء الذى كان يتعبد فيه - لم يؤمر آنذاك بتبليغ الرسالة للناس، بل كان الأمر فى ذلك قاصرا على إبلاغه رسالة ربه إليه، وتمجيده جلّ وعلا بما جاء فى سورة (اقرأ باسم ربك)، وبعد أن فتر الوحي مدة عاد بأمر الله تعالى له بأن يقوم بتبليغ رسالة ربه.

ولما كان أهل مكة الذين بُعثَ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما جفاة متخلفين بأخلاق تغلب عليها العزة والأنفة، وفيهم سدنة الكعبة<sup>(٢)</sup> والقوام على الأوثان والأصنام، التى كانت مقدسة عند سائر العرب: يعبدونها ويتقربون إليها بالذبايح والهدايا، ولا يعرفون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا ينقادون إليه بسهولة، كان من حكمة الله تعالى تلقاء ذلك أن تكون الدعوة إلى دين الإسلام فى مبدأ أمرها سرية؛ لئلا يفاجئوا بما يهيجهم وينفرون منه ويكون سبباً لشنّ الغارات والحروب وإهراق الدماء.

والداعى صلوات الله عليه وسلامه لم يكن له إذ ذاك ناصر ولا معين من خلق الله. ومن سنة الله تعالى فى خلقه ربط الأسباب بالمسببات، فلم يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة من قبل أن يهيئ له أسباب

(٢) سدنة الكعبة: خدمها وهم القابضون على مفاتيحها.

النصر والفوز على من يقاومه فى ذلك، خصوصاً أن قومه الذين بُعث فيها بينهم كانوا أشد الناس تمسكاً بمعبوداتهم وحرصاً على ماكان عليه آباؤهم.

ومن المعلوم أن من الناس من هو عظيم فى قومه رفيع الدرجة فيما بينهم، ومنهم من هودون ذلك، فالعظماء من الناس تمنعهم أنفتهم من إجابة الداعى لهم إلى مفارقة ما عليه جماعتهم، ونبذ ما بينهم من الروابط القومية والعادات المتأصلة، إذ كل فرد منهم يرى أن انفراده بالرضوخ للغير ينقصه فى نظر قومه. فإذا فوجئ هؤلاء الأعظم بإعلان الدعوة إلى غير ما كانوا عليه؛ ظهروا بمظهر المنكر المعاند وقاوموا الدعوة بجملتهم. وغير الأعظم هم تبع العظماء والرؤساء؛ فإذا دعوا إلى مخالفة ما عليه أولئك العظماء جهاراً لم يجسروا على إجابة الداعى متى لم يسبقهم إلى ذلك أفراد من العظماء.

فإعلان الدعوة يحتاج إلى مقدمة يستأنس بها الفريقان، وما ذلك إلا باجتذاب أفراد من هؤلاء وهؤلاء خفية؛ حتى إذا تكونت منهم جماعة وأعلنت بهم الدعوة؛ سهل على غيرهم أن ينبذوا تقاليد قومهم، ويتبعوا ما يدعوهم إليه الداعى مما تنتشر له صدورهم ولا تأباه فطرتهم.

## أول من أسلم

كان أول من سطع عليه نور الإسلام من مبدأ الدعوة إليه خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>، ثم ابن عمه على بن أبى طالب وعمره إذ ذلك عشر سنين؛ وكان مقيماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) أسبقية إسلام السيدة خديجة على الجميع تكاد تكون بالاتفاق، والمشهور أن سيدنا أبا بكر الصديق أسبق الرجال إسلاماً، وأن على بن أبى طالب أول الصبيان إسلاماً، وأن زيد بن حارثة أول الموالى إسلاماً.

فكان إذا حضرت الصلاة خرج به النبي صلى الله عليه وسلم إلى شعاب مكة مختلفين فيصليان ويعودان كذلك، وقد اطلع عليهما أبو طالب وهما يصليان مرة، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به. قال: أى عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم؛ بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت ياعم أحق من بذلت له النصيحة ودعوتك إلى الهدى، وأحق من أجابني وأعانتني عليه. فقال أبو طالب: يا ابن أخي، إني لا أستطيع أن افارق دين آبائي. ولكنه مع ذلك أقر ولده عليًا على اتباع هذا الدين ووعده النبي صلى الله عليه وسلم بأن ينصره ويدفع عنه سوء.

وقد أسلم بعد ذلك زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم، الذي تبناه بعد أن أعتقه وزوجه أم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم، وقد كانت من السابقين إلى الإسلام.

وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة يعرف صدقه، فعندما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق، وقال: بأبى أنت وأمى أهل الصدق أنت، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر. وكان رضى الله عنه عظيماً فى قومه يتقون برأيه، فدعا إلى الإسلام من توسم فيهم الإجابة، فأجابه عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ابن أبى وقاص، والزيبر بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأتى بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا. ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد العدوى، وأبو سلمة المخزومي، وخالد ابن سعيد بن العاص، وعثمان بن مظعون وأخوه قدامة وعبيد الله، والأرقم بن الأرقم. وكل هؤلاء من بطون قريش.

ومن غيرهم صهيب الرومى، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفارى،

وعبد الله بن مسعود وغيرهم.

وقد استمرت هذه الدعوة السرية ثلاث سنين، أسلم فيها جماعة لهم شأن في قريش وتبعهم غيرهم، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس، فجاء وقت الجهر بالدعوة.

### مبدأ الجهر بالدعوة

بعد أن مضى على الإسرار بالدعوة ثلاث سنين كثر دخول الناس في دين الإسلام من أشراف القوم ومواليهم: رجالهم ونسائهم، وقشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس، فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة وأنزل عليه: (فَاَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) فبادر بامتنال أمر ربه؛ وأعلن لقومه الدعوة إلى دين الله تعالى؛ وصعد على الصفا ونادى بطون قريش، فلما اجتمعوا قال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي. قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا، فقال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقام أبو لهب من بينهم وقال: تبا لك ألهذا جمعتنا، فأنزل الله تعالى في شأنه: (تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)<sup>(١)</sup>، ثم أنزل الله تعالى عليه: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، فجمع من بنى عبد مناف نحو الأربعين وقال لهم: ما أعلم إنسانا جاء قومه بأفضل مما جنتكم به؛ قد جنتكم بخيري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو

(١) قد كانت امرأة أبي لهب تمشي بالنميمة في نوادي النساء وتتقول الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشعل بذلك نار الفتنة.

إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة. والله لتموتن كما تتامون؛ ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءاً. إنها لجنة أبداً أو لنار أبداً. فتكلم القوم كلاماً لنا، وقام أبو لهب وقال: شذّ ما سحركم صاحبكم، خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب. فمانعه في ذلك أبو طالب وتفرق الجمع.

### تذمر قريش من تسفيهم وعيب آلهتهم

لما استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في إعلان الدعوة إلى الله وتوحيده لم يجد من قومه في مبدأ الأمر مقاومة ولا أذى، غير أنهم كانوا ينكرون عليه فيما بينهم فيقولون إذا مر عليهم: هذا ابن أبي كبشة<sup>(٢)</sup> يكلم من السماء، هذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء. ولا يزيدون على ذلك.

ولكن لما استتبع إعلان الدعوة عيب معبوداتهم الباطلة، وتسفيه عقول من يعبدونها، نفروا منه وأظهروا له العداوة غيرة على تلك الآلهة التي يعبدونها كما كان يعبدها آبؤهم، فذهب جماعة منهم إلى عمه أبي طالب وطلبوا أن يمنعه عن عيب آلهتهم وتضليل آبائهم وتسفيه عقولهم أو يتنازل عن حمايته، فردهم أبو طالب رداً جميلاً.

واستمر رسول الله عليه وسلم يصدع بأمر الله تعالى، وينشر دعوته، ويحذر الناس من عبادة الأوثان، ولما لم يطيقوا الصبر على هذا الحال عادوا إلى أبي طالب وقالوا له: إنا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم ينته عنا، وإنا

---

<sup>(٢)</sup> أبو كبشة كنية لزوج حليلة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم، وكما أن المرضعة بمنزلة الأم كذلك صاحب اللبن بمنزلة الأب وكانوا يريدون بذلك تنقيص النبي صلى الله عليه وسلم عنادا واستكباراً.

لا نصبر على هذا الحال من تسفيه عقولنا وعيب آلهتنا وتضليل آبائنا، فإما أن تكفه أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، فعظم الأمر على أبي طالب، ولم ترق لديه عداوة قومه ولاخذلان ابن أخيه، وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه. فقال أبو طالب: اذهب فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.

ثم رأى أبو طالب أن يجمع بنى هاشم وبنى المطلب ليكونوا معه على حماية ابن أخيه؛ فأجابوه لذلك إلا أبا لهب فإنه فارقه وانضم إلى بقية كفار قريش.

ولما رأت قريش تصميم أبي طالب على نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق بنى هاشم وبنى المطلب معه في ذلك؛ وكان وقت الحج قد قرب وخافوا من تأثير دعوته في أنفس العرب الوافدين لزيارة الكعبة فتزاد قوته وتنتشر دعوته؛ اجتمعوا وتداولوا فيما يصنعون في مقاومة ذلك، فقال قائل منهم: نقول كاهن، فقيل: ما هو بكاهن وما هو بحالة الكهان، فقيل: نقول مجنون، فقيل: ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما حالته كحال المجانين، فقيل: نقول هو شاعر، فقيل: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر بأنواعه فما هو بالشعر، فقيل: نقول ساحر، فقيل: لقد رأينا السحرة فما حالته كحالهم.

ثم اتفقوا على أن يذيعوا بين الوافدين إلى مكة من العرب أنه ساحر جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه؛ وبين المرء وأخيه؛ وبين المرء وزوجه؛ وبين المرء وعشيرته، وصاروا يجلسون بالطرق حين جاء موسم الحج، فلا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره.

ولقد كان ذلك سبباً في شيوع دعوته صلى الله عليه وسلم وذكر اسمه في

## تعرض قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالأذى

ولما رأت قريش أنهم لم يفلحوا في إرجاع أبي طالب عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمايته، وأن قد انضم إليه في ذلك غيره، وأن دعوة رسول الله في انتشار، وأن المؤمنين به في ازدياد، لجأوا إلى طريقة الأذى فأغروا سفاءهم أن يتظاهروا بالاستهزاء برسول الله وإيذائه؛ خصوصا إذا ذهب إلى الصلاة عند الكعبة؛ وقد أراد أبو جهل أن يرض<sup>(١)</sup> رأسه عليه الصلاة والسلام وهو ساجد. ولكن الله تعالى حفظه منه، فإنه لما قرب منه خائنه قواه، وسقط من يده الحجر الذي أعده لذلك، ورجع إلى قومه مذعورا<sup>(٢)</sup> منتقعا اللون<sup>(٣)</sup> وهو يقول: إنه قد تعرض لي فحل ما رأيت مثله قط، هم بي ليأكلني.

وأغرى عقبة بن أبي معيط أن يتربص سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلقى عليه فرث<sup>(٤)</sup> جزور ففعل، ولم يقدر أحد من المسلمين الحاضرين على إزالته، حتى أتت ابنته فاطمة الزهراء رضی الله عنها فألقته عنه.

وكان ذلك الفاجر أبو جهل ينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته عند البيت، فقال له مرة حين رآه يصلي: ألم أنك عن هذا، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا شديدا وهدده، فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل

(١) الرض: الدق والكسر.

(٢) الذعر بالضم: الخوف، ومذعور (متخوف).

(٣) أى متغير اللون.

(٤) الفرث: الزبل في الكرش.

الوادي ناديا<sup>(٥)</sup>، فأُنزل الله تعالى: (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندع الزبانية، كلا لا تطعه واسجد واقترب).

وبينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة، إذ جاء الفاجر عقبة بن أبى معيط، فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر الصديق ودفعه عنه وقال: (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم).

وجاء رجل إلى مجمع قريش يشكو مطل أبى جهل<sup>(١)</sup> فى دين له عليه، فقالوا للرجل: ينصفك محمد، يقصدون بذلك الإيقاع بين رسول الله وأبى جهل، فتوجه ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن ينصفه من أبى جهل، فقام معه إلى دار أبى جهل حتى ضرب على بابه، فقال: من هذا، قال: محمد، فخرج منتقعا لونه، فقال له صلى الله عليه وسلم: أعط هذا حقه، فقال أبو جهل: لا تبرح حتى تأخذه. فأعطاه إياه من ساعتة، فعجبت قريش من ذلك، حيث انعكس عليهم قصدهم، ورأوا ما لم يكن فى حسابهم من انهزام صاحبهم، فقال لهم: والله لقد سمعت حين ضرب على بابى صوتا ملئت منه رعبا ورأيت فوق رأسى فحلا من الإبل ما رأيت مثله.

وكان أبو لهب وهو عمه عليه الصلاة والسلام أشد عليه من الأبعاد، وكان جارا له، فكان يرمى هو وزوجته القدر على بابه.

وكان من المؤذنين العاص بن وائل السهمى والد عمرو بن العاص، والأسود بن عبد يغوث الزهرى<sup>(٢)</sup>، والأسود بن المطلب الأسدى ابن عم السيدة

(٥) النادى هو مجتمع الناس، يريد أبو جهل أن القوم يجتمعون بمجلسه بكثرة لعظم منزلته.

(١) المطل : التسويف.

(٢) من بنى زهرة أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، والوليد بن المغيرة عم أبى جهل، والنضر بن الحارث العبرى، ولم يسلم من هؤلاء أحد، بل أهلكهم الله تعالى على الكفر، ما بين قتيل فى غزوة بدر ومعذب بأشد الأمراض وأشنعها، والله عزيز ذو انتقام<sup>(٣)</sup>.

## فيما عرضته قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرجع عن الدعوة

لما رأى كفار قريش أن طريق الأذى الذى لجأوا إليه لم يجدهم نفعا فيما يريدون؛ اجتمعوا للشورى فيما يعملون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لإرجاعه عن أمره، فاتفقوا على أن يبعثوا إليه عتبة بن ربيعة العبشمى (وكان من عظمائهم) ليعرض عليه أمورا لعله يقبلها ويرجع عن هذه الدعوة، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى المسجد وقال له: يا ابن أخى إنك من خيارنا حسبا ونسبا، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم ومن مضى من آبائهم، فإن كنت تريد بما جننت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتىك رثيا من الجن<sup>(١)</sup> لا تستطيع رده عن

<sup>(٣)</sup> وقد أسلم فى ذلك الوقت حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما عبرته بعض الجوارى بليداء أبى جهل لابن أخيه، فأدركته الحمية وتوجه إلى ذك الفاجر وغاضبه وقال: كيف تسب محمدا وأنا على دينه، فأتار الله بصيرة حمزة، ودخل فى دين الإسلام، وقد كان من أقوى المسلمين شكيمة على أعداء الدين حتى لقب (أسد الله).

<sup>(١)</sup> يقال به رثى من الجن: أى مس

نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. فلما فرغ من كلامه قواً عليه النبي صلى الله عليه وسلم سورة فصلت، حتى وصل إلى قوله تعالى: (فَلْيَنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ). فأمسك عتبة بفيه، واستحلفه أن يكف عن ذلك، فلما رجع عتبة إلى قومه قال لهم: يامعشر قريش لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر، فأطيعوني وامتنعوا عن الرجل، فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعت شأن، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فعزه عزكم، فقالوا: لقد سحرك محمد.

ولما لم تتفهم هذه الحيلة عمدوا إلى حيلة أخرى، فعرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاركهم في عبادتهم ويشاركوه في عبادته، فأنزل الله تعالى عليه سورة (قل يا أيها الكافرون)، فلما ينسوا من ذلك طلبوا منه أن ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم الأوثان والوعيد الشديد، فأنزل الله تعالى عليه: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي، إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ).

ولما رأوا أن كل ذلك لم ينفعهم شيئاً لجأوا إلى طرق التعجيز فقالوا له: إن كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها منك، وهي أن ينشق القمر فرقتين. فلما أراهم الله تعالى ذلك تعنتوا واستمروا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة تعنت وعناد مثل قولهم: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا<sup>(٢)</sup>)، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَافَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ عَلَيْنَا سِقَاطًا<sup>(٣)</sup>)، أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا<sup>(٣)</sup>)، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ، أَوْ

(٢) عيناً غزيرة لا ينقطع ماؤها.

(٢) قِطْعًا.

(٣) كقبيلة بما تقول شاهداً بصحته.

تَرَقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ، وَكَانَ يَجِيبُهُمْ عَنْ ذَلِكَ بِمَا يَأْمُرُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا).

ولما عجزوا عن مقاومته بهذه الوسائل عادوا إلى استعمال الشدة والأذى مع رسول الله والمؤمنين، ولم يتركوا لذلك باباً إلا وجوه.

### إيذاء قريش للمؤمنين

كما أودى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الجهر بالدعوة إلى الإسلام أودى أصحابه؛ فإن كل قبيلة كانت تسيئ إلى من أسلم منها وهم يتحملون تلك الإساءات بالصبر الجميل، فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتوا على يقينهم حتى أتم الله تعالى أمره.

فمن الذين أودوا في الله بلال بن رباح كان مملوكاً لأمية بن خلف الجمحي، فكان يجعل في عنقه حبلاً ويدفعه إلى الصبيان يلعبون به، وكان أمية يخرج به في شدة الحر ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، وقد اشتراه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه ابتغاء وجه ربه.

ومنهم عامر بن فهيرة كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول، وكان مملوكاً لصفوان بن أمية وقد اشتراه الصديق رضي الله عنه وأعتقه.

ومنهم امرأة تسمى زنيرة عذبت حتى عميت فلم يزدها ذلك إلا إيماناً رضي الله عنها.

ومنهم عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه؛ كانوا يعذبون بالنار، وقد مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وهم يعذبون، فقال: صبراً آل ياسر فمؤدكم الجنة. وقد مات أبو عمار وأمه تحت العذاب رضي الله عنهما، وأما عمار فنطق بكلمة الكفر ظاهراً فأطلق، وفي ذلك نزل قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ

وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ).

وبالجملة لم يخل أحد من المسلمين الأولين من أذية لحقته فى الله تعالى ولكن كل ذلك لم يصددهم عن دينهم بل زادهم إيماناً وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من الأذى؛ وهم غير قادرين على منعه لقلّة عددهم وعدم استعدادهم إذ ذاك؛ أشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة حتى يجعل الله لهم فرجاً مما هم فيه، فهاجر إليها منهم عشرة رجال وخمس نسوة فى مقدمتهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكثوا هناك ثلاثة أشهر رجعوا بعدها إلى مكة ولم يتمكنوا من دخولها إلا فى حماية من أجارهم من عظماء القوم.

وفى ذلك الوقت أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمره حين إسلامه ستاً أو سبعة وعشرين سنة ولما أسلم قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم.

لما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بنى عبد مناف دية مضاعفة ليسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبل ذلك بنو عبد مناف، فعرضت قريش على أبى طالب أن يعطوه فتى من فتيانهم ويسلم إليهم ابن أخيه فردهم وقال لهم: عجباً لكم تعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطىكم ابنى تقتلونه.

ثم لما اتسدت فى وجوه كفار قريش أبواب الحيل، ولم يفلحوا فيما استعملوه من طرق الأذى مع رسول الله والمؤمنين، اتفقوا على مقاطعة بنى عبد مناف وإخراجهم من مكة والتضييق عليهم، فلا يعاملونهم ببيع ولا شراء حتى يسلموا إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم بذلك فالتجأ بنو عبد مناف: مسلمهم

وكافرهم إلى أبي طالب ودخلوا معه في شعبه، فحاصروهم فيه كفار قريش مدة تقرب من ثلاث سنين؛ حتى نفذ ما عندهم من الزاد واضطروا لأكل أوراق الأشجار.

وبعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب أشار على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فهاجر إليها منهم ثلاثة وثمانون رجلاً<sup>(١)</sup> ومعهم من نسائهم سبع عشرة امرأة ومن أخذوا من أولادهم، ولما وصلوا إلى الحبشة وكان ملكها عادلاً أكرمهم وأمنهم على عبادتهم ومكنهم من إعلانها، فلما علمت قريش بذلك أرسلت إلى نجاشي الحبشة وفداً يحمل إليه وإلى بطارقته الهدايا ليرد هؤلاء المهاجرين ويمنعهم من الإقامة في أرضه، فلم يرض النجاشي بذلك بل استحضر المهاجرين إليه وسألهم عما هم عليه من الدين، فكلّمه جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه، وأبان له ما كانت عليه حالتهم قبل الإسلام وما جاءهم به الإسلام من ترك عبادة الأوثان وإفراد الله تعالى بالعبادة، وما أرشدهم إليه من مكارم الأخلاق، وقرأ عليه جعفر أول سورة مريم المشتملة على قصة مولد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، فقال النجاشي: إن هذا مثل الذى جاء به المسيح، ثم سأله عما يتقوله عليهم وقد قريش في حق المسيح، فقال جعفر: نقول فيه الذى جاء به نبينا؛ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فقال النجاشي: إن عيسى ابن مريم لا يزيد على ذلك، ثم قال للمهاجرين: اذهبوا فأنتم آمنون، ورد على وفد قريش هداياهم، فرجعوا إلى قومهم خائنين.

---

(١) وكانوا جميعاً من بطون قريش، وقد مكثوا في هذه الهجرة إلى ما بعد خروج بنى عبد مناف ورسول الله صلى الله عليه وسلم من حصار الشعب.

وقد رغب أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى الهجرة إلى الحبشة لشدة مآلقيه من أذى قومه، فلقبه ابن الدغنة فقال له: مثلك يا أبا بكر لا يخرج وأنا لك جار، فعدل وطاف ابن الدغنة فى قريش وهو يقول: أبو بكر لا يخرج مثله، أخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق. فقبلت قريش جوار ابن الدغنة لأنه كان عظيما فى قومه. ومكث أبو بكر يعبد ربه فى داره، ثم ابنتى له بها مسجدا كان يصلى فيه ويقرأ فيه القرآن فيتطلع إليه أبناء قريش ونساؤهم يعجبون منه، فأفزع ذلك كفار قريش، وطلبوا من ابن الدغنة أن يتنازل عن حمايته إن لم يرجع عما هو فيه، فطلب ابن الدغنة من أبى بكر أن لا يعلن عبادته، فقال له الصديق رضى الله عنه: إبنى أرد عليك جوازك وأرضى بجوار الله تعالى. واستمر رضى الله عنه على إعلان عبادته، متحملا ما يلحقه من أذى كفار قريش صابرا، محتسبا أجره على الله تعالى، والله مع الصابرين.

ولما اشتد الحصار على بنى عبد مناف تأثر لذلك جماعة من أعاظم قريش، فقاموا بنصرتهم وتوجهوا إلى الكعبة ونقضوا تلك الصحيفة<sup>(١)</sup> بعد أن أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن الأرضة قد أكلتها ولم يبق منها إلا اسم الله تعالى، فتمكنوا بعد ذلك من مبارحة الشعب، ومكث النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى دين الله، والمسلمون كل يوم فى ازدياد من قريش ومن غيرهم، ولا يتمكن أعداؤهم من الاعتداء عليهم، حتى كانت السنة العاشرة من النبوة توفى فيها عمه أبو طالب الذى كان عضده ونصيره، فعاد كفار قريش إلى الأذى، حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، وطلب من أشرف هذه الجهة تعضيده بعد أن دعاهم إلى دين الله تعالى، فلم يقبلوا ولم يسلموا بل

(١) أى أزالوها ومزقوها بعد أن رأوها متأكلة كما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم.

أغروا سفهاءهم يسبونونه ، فعاد إلى مكة وطلب من المطعم بن عدى أن ينصره فأجابته لذلك، وذهب صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة في جوار المطعم، فطاف وصلى ثم انصرف إلى منزله يحفظه الله تعالى من أذى الأعداء.

## وفاة خديجة رضى الله عنها وبيان أولاده صلى الله عليه وسلم

### منها وبقية أزواجه

فى الشهر الذى توفى فيه أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم توفيت أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة المنورة بثلاث سنين وقد حزن عليها حزناً شديداً لأنها كانت من أكبر أعوانه وأرق الناس له ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى توفاه الله تعالى إلى رحمته، وكان كثيراً ما يذكرها بعد وفاتها ويترحم عليها.

وقد جاء منها بأولاده كلهم (ما عدا إبراهيم)، فأولهم القاسم <sup>(١)</sup> وبه كان يكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتليه زينب <sup>(٢)</sup> ثم رقية <sup>(٣)</sup> ثم أم كلثوم، ثم فاطمة <sup>(٤)</sup> ثم عبد الله <sup>(٥)</sup> (الملقب بالطيب وبالطاهر) ، ولم يعيش بعده صلى الله عليه وسلم من أولاده إلا السيدة فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر.

(١) توفى وهو صغير، وقيل أنه عاش حتى ركب الدواب.

(٢) تزوجت قبل البعثة بالعاص بن الربيع، وأعقب منها أمانة التى تزوجها سيدنا على بن أبى طالب بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها.

(٣) تزوجها سيدنا عثمان بن عفان قبل هجرته إلى الحبشة وهاجر بها، ثم تزوج بالسيدة أم كلثوم بالمدينة بعد وفاة أختها.

(٤) تزوجها سيدنا على بن أبى طالب وولدت منه سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضى الله عنهما.

وبعد وفاة السيدة خديجة بأيام تزوج صلى الله عليه وسلم بالسيدة مسودة<sup>(٦)</sup> بنت زمعة العامرية القرشية، ثم تزوج بالسيدة عائشة<sup>(٧)</sup> بنت سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنهما، وهى بكر صغير بين السادسة والسابعة من عمرها ، وبنى بها وهى بنت تسع سنين ، وكانت أحب نسائه إليه ، ثم تزوج بالسيدة حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب ، ثم تزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية وتوفيت بعد بنائه بها بشهرين ، ثم تزوج بالسيدة أم سلمة هند بنت أبى أمية القرشية المخزومية، ثم تزوج بالسيدة زينب<sup>(٧)</sup> بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة ، ثم تزوج بالسيدة جويرية<sup>(٨)</sup> بنت الحارث من بنى المصطلق ، ثم تزوج بالسيدة أم حبيبة<sup>(١)</sup> بنت أبى سفيان صخر بن حرب

<sup>(٥)</sup> توفى صغيراً وكانت ولادته بعد البعثة.

<sup>(٦)</sup> قد كانت من السابقين إلى الايمان وهاجرت مع زوجها الى الحبشة فى المرة الثانية ، وعقب رجوعه منها توفى عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، وهى التى وهبت يومها لعائشة.

<sup>(٧)</sup> وكانت أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق ، وكان أكابر الصحابة يرجعون إلى قولها ويستفتونها ، وما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم فى فراش امرأة غيرها. وهى ابنة عمته أميمة.

<sup>(٨)</sup> وكانت من سبايا بنى المصطلق فتزوجها صلى الله عليه وسلم بعد أن أعتقها ليقتدى به المسلمون، فأعتقوا من كان بأيديهم من نساء بنى المصطلق إكراماً لمصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، فأسلم بنو المصطلق جميعاً فكانت جويرية أئمن امرأة على قومها. <sup>(١)</sup> وتسمى هند أو رملة.

القرشى الأموى ، ثم تزوج بالسيدة صفية بنت حبي بن أخطب سيد بنى النضير ،  
ثم بالسيدة ميمونة <sup>(١)</sup> بنت الحارث الهلالية وهى آخر من تزوج بهن .

وقد توفى صلى الله عليه وسلم عن تسع من نسله: عائشة وحفصة  
وزينب بنت جحش وأم سلمة وصفية وأم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية (وأول  
من توفى بعده منهن زينب بنت جحش وآخرهن أم سلمة).

وقد تسرى صلى الله عليه وسلم بأربع إماء: منهن مارية القبطية وهى أم  
ولده (إبراهيم) الذى توفى طفلاً قبل الفطام <sup>(٢)</sup>.

وكان أعمامه صلى الله عليه وسلم أحد عشر ، لم يسلّم منهم سوى سيدنا  
حمزة وسيدنا العباس وهو أصغرهم ، ولم يكن منهم شقيق لوالد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم سوى أبى طالب والزبير .

وعماته ست ، لم يسلّم منهن سوى السيدة صفية والدة سيدنا الزبير بن  
العوام .

وكان له صلى الله عليه وسلم موال كثيرون ذكور وإناث ، أعتق أكثرهم ،  
منهم زيد بن حارثة أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت سيدنا أسامة بن زيد .  
وقد تشرف بخدمته صلى الله عليه وسلم كثيرون ، منهم أنس بن مالك ،  
وعبد الله بن مسعود ، وبلال بن رباح ، وأبو ذر الغفارى . وكان من كتابه

---

<sup>(١)</sup> وكانت قبله صلى الله عليه وسلم تحت عمه سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، وهى خالة  
عبد الله بن عباس ، وقد تزوجها بمكة فى عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة ولم يدخل بها  
إلا بعد أن تحلل من عمرته .

<sup>(٢)</sup> وكانت وفاته فى السنة المأثرة من الهجرة .

صلى الله عليه وسلم سادتتا: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والزبير بن العوام ، وعمر بن العاص ، وكثير غيرهم كانوا يكتبون الوحي والعهود وكتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء.

## عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل وبيعة العقبة الأولى

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كفار قريش لا ينفكون عن مقاومته ومعارضته في تأديه رسالة ربه ، ألهمه الله تعالى أن يعرض نفسه على غيرهم من كبار العرب؛ عسى أن يجد منهم حماية وعضداً يعينه على تأدية الرسالة وتبليغ الدعوة ، فكان صلى الله عليه وسلم يخرج في مواسم العرب وأسواقهم التي كانوا يقصدونها للتجارة والمفاخرة -وخصوصاً مواسم الحج- داعياً لهم إلى الله تعالى ، قارناً عليهم القرآن الكريم ، طالباً منهم نصره حتى يؤدي رسالة ربه ، فلم يكونوا يجيبونه ، إلى أن قدم وفد من يثرب <sup>(١)</sup> من قبيلة (الأوس) يريدون أن يعقدوا حلفاً مع قريش لينصروهم على بنى عمهم (الخزرج)، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدمهم قابلهم وقال لهم: هل لكم في خير مما جنتم له؟ أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وتلا عليهم شيئاً من القرآن ، وذكر لهم أمور الإسلام ، فمال بعضهم إلى قبول الإسلام وأبى الآخرون، فانصرف الجميع إلى المدينة

---

(١) المدينة المنورة، واسمها أيضاً طيبة.

دون أن يسلموا ، ثم وفد في موسم الحج جماعة من الخزرج ، فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام وإلى معاونته في تبليغ رسالة ربه ، وكانوا ستة رجال فأسلموا جميعاً ، ووعدهم المقابلة في الموسم المقبل ، وهم أول من أسلم من عرب المدينة <sup>(٢)</sup> . فلما كان العام المقبل قدم خمسة منهم في اثنتي عشر رجلاً من الخزرج واثنتان من الأوس ، واجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، وأسلم باقيهم ، وبايعوا كلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصونه في معروف ، وأرسل معهم من يقرؤهم القرآن ويفقههم في الدين . وبذلك انتشر الإسلام في دور المدينة ، وصار حديث القوم في مجتمعاتهم ونواديهم ، وقد سميت هذه البيعة (بيعة العقبة الأولى) .

### بيعة العقبة الثانية وهجرة بعض المسلمين إلى المدينة

في موسم الحج في العام الذي يلي بيعة العقبة الأولى؛ وفد إلى مكة كثيرون من أهل المدينة ، فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم المقابلة ليلاً عند العقبة ، وأمرهم أن يكتموا أمرهم فلا يطلع على ذلك أحد من كفار قريش ، فتوجهوا إلى مواعدهم في منتصف الليل كاتمين أمرهم عن معهم من المشركين (وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس، وكان باقياً

<sup>(٢)</sup> وهم أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وقطبة بن عامر ، وعقبة

بن عامر ، وجابر بن عبد الله .

على دين قومه، وإنما أحضره معه ليتوثق له) ، فلما اجتمعوا قال لهم العباس:  
إن ابن أخى هذا لم يزل فى منعة من قومه ، فإن كنتم ترون أنكم قوامون له بما  
دعوتموه إليه من البيعة ، وما نعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإلا  
فدعوه بين عشيرته ، فقال كبيرهم: إنما نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون  
رسول الله. وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم شروط  
البيعة ، فقال : أشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ، ولنفسى أن  
تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم. فبايعوه على ذلك،  
وكانوا ثلاثاً وسبعين رجلاً، منهم اثنان وستون من الخزرج ، وأحد عشر من  
الأوس ومعهم امرأتان وسميت هذه البيعة (بيعة العقبة الثانية).

واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اثنى عشر نقيباً: تسعة من  
الخزرج وثلاثة من الأوس ، وقال لهؤلاء النقباء: أنتم كفلاء على قومكم ؛ كل  
على عشيرته ، فلما رجعوا إلى المدينة ظهر الإسلام بها أكثر من المرة الأولى.  
وقد شعرت قريش بهذه البيعة فازداد أذاهم للمسلمين الموجودين بمكة ،  
فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بالهجرة إلى المدينة، فصاروا  
يتسللون إليها وحداناً وجماعات، مختلفين عن أعين قريش ، حتى إنه لم يبق بمكة  
إلا أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب وقليلون ممن لم يقدروا على الهجرة ،  
وقد أراد أبو بكر رضى الله عنه الهجرة فأشار عليه النبي صلى الله عليه وسلم  
بالانتظار حتى يأذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، فانتظر أبو بكر  
رضى الله عنه، وأعد لذلك راحلتين كانتا عنده: إحداهما له والأخرى لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم.

## الإسراء والمعراج

قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة بقليل؛  
أكرمه الله تعالى بالإسراء والمعراج.

أما الإسراء فهو توجهه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الذى فيه  
الكعبة المشرفة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس (بالشام)، ليريه الله  
سبحانه وتعالى من عجائب آياته ما يناسب قدره العظيم.

فقد ركب صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى البراق ، وهو دابة ليست  
كدوابنا هذه، وإنما هى شيء سخره الله تعالى لرسوله إكراماً وتعظيماً ، يضع  
ذلك البراق حافره عند منتهى طرفه، فسار به من المسجد الحرام بمكة حتى  
وصل إلى بيت المقدس فى ليلته ، فدخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء عليهم  
الصلاة والسلام إماماً.

وأما المعراج فهو بعد أن خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيت  
المقدس ركب البراق وصعد به إلى السموات ، فكان كلما وصل إلى سماء  
يستفتح جبريل فيقال: من أنت؟ ومن معك؟ فيقول : جبريل ومحمد ، فيقال: أو  
قد بُعث إليك؟ فيقول: نعم ، فيفتح لهما مع الترحيب والدعاء بالخير، حتى انتهى  
من السماء السابعة ، وبعدها توجه صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى ،  
وهناك شاهد ما لا تدرك العقول البشرية حقيقته ، وأوحى الله تعالى إلى نبيه ما  
أوحى ، وفرض سبحانه عليه وعلى أمته فى ذلك الوقت خمسين صلاة فى كل  
يوم وليلة ، ونزل صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى السماء السادسة، ولقى  
فيها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فأخبره بما فرض الله عليه وعلى أمته ،  
فأشار عليه أن يرجع فيسأل ربه التخفيف، فإن أمته لا تطيق ذلك.

فلم يزل يرجع بين ربه عز وجل وبين موسى عليه السلام حتى جعل الله تعالى الصلوات المفروضة خمساً في الفعل وخمسين في الأجر.

ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى مكة من ليلته، فلما أصبح ذهب إلى نادى قريش فأخبر القوم بما رآه، فكذب من كذب وارتد بعض ضعاف القلوب عن الإسلام، ثم امتحنوه بوصف بيت المقدس فوصفه كما هو، ثم سألوه عن غير<sup>(١)</sup> لهم في الطريق فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ووقت قدومها، فكان كما قال، ومع ذلك لم تردعهم تلك الأدلة الظاهرة عن عنادهم وكفرهم؛ إلا من وفقه الله تعالى وثبته على دين الإسلام. وفي صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأراه كيفية الصلوات الخمس وأوقاتها، وكانت الصلاة قبل ذلك ركعتين صباحاً وركعتين مساءً كصلاة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) قافلة تحمل تجارتهم.

## هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبى بكر الصديق رضى الله عنه

لما علم كفار قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت له شيعة وأنصار من غيرهم، ورأوا مهاجرة أصحابه إلى أولئك الأنصار الذين بايعوه على المدافعة عنه حتى الموت، اجتمع رؤساهم وكبارهم فى دار الندوة<sup>(١)</sup> ليتشاوروا فيما يصنعون بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقال قائل منهم: نجسبه مكبلا بالحديد حتى يموت، وقال آخر: نخرجه وننفيه من بلادنا، فقال أحد كبيرائهم: ما هذا ولا ذاك برأى؛ لأنه إن حُبس ظهر خبره فيأتى أصحابه وينتزعونه من بين أيديكم، وإن نفى لم تأمنوا أن يتغلب على من يحل بحيمهم من العرب؛ بحسن حديثه وحلاوة منطقه حتى يتبعوه فيسير بهم إليكم، فقال الطاغية أبو جهل: الرأى أن نختار من كل قبيلة فتى جلدأ ثم يضربه أولئك الفتيان ضربة رجل واحد؛ فينفرق دمه فى القبائل جميعاً؛ فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميع القبائل. فأعجبهم هذا الرأى واتفقوا جميعاً وعينوا الفتيان واللييلة التى أرادوا تنفيذ هذا الأمر فى سحرها، فأعلم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بما أجمع عليه أعداؤه، وأذنه سبحانه وتعالى بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة)، فذهب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأخبره وأذن له أن يصحبه، واتفقا على إعداد الراحلتين اللتين هما أبو بكر الصديق لذلك، واختارا دليلا يسلك بهما أقرب الطرق، وتواعدا على أن يبتدئا السير فى اللييلة التى اتفقت قريش عليها. وفى تلك اللييلة أمر عليه الصلاة والسلام ابن عمه على

(١) هى دار بناها قصى بن كلاب، كانوا يجتمعون فيها عند ما ينزل بهم حادث مهم.

ابن أبي طالب أن ينام في مكانه ويتغطى بغطائه حتى لا يشعر أحد بمبارحته بيته. ثم خرج صلى الله عليه وسلم، وفتيان قريش متجمعون على باب بيته وهو يتلو سورة (يس)، فلم يكذب يوصل إليهم حتى بلغ قوله تعالى: (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)، فجعل يكررها حتى ألقى الله تعالى عليهم النوم وعميت أبصارهم فلم يبصروه ولم يشعروا به، وتوجه إلى دار أبي بكر وخرجا معا من خوخة في ظهر البيت، وتوجها إلى جبل ثور بأسفل مكة فدخلوا في غار، وأصبحت فتيان قريش تنتظر خروجه صلى الله عليه وسلم، فلما تبين لقريش أن فتيانهم إنما باتوا يحرسون على بن أبي طالب لا محمداً صلى الله عليه وسلم هاجت عواطفهم، وارتبكوا في أمرهم، ثم أرسلوا رسلهم في طلبه والبحث عنه من جميع الجهات، وجعلوا لمن يأتيهم به مائة ناقة، فذهبت رسلهم تقتفي أثره، وقد وصل بعضهم إلى ذلك الغار الصغير الذي لو التفت فيه قليلاً لرأى من فيه، فحزن أبو بكر الصديق رضي الله عنه لظنه أنهم قد أدركوهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)، فصرف الله تعالى أبصار هؤلاء القوم وبصائرهم حتى لم يلتفت إلى داخل ذلك الغار أحد منهم، بل جزم طاغيتهم أمية بن خلف بأنه لا يمكن اختفاؤهما به لما رأوه من نسج العنكبوت وتعشيش الحمام على بابه.

وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ثلاث ليال حتى ينقطع طلب القوم عنهما، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ثم يصبح في القوم ويستمتع منهم الأخبار عن رسول الله وصاحبه فيأتيهما كل ليلة بما سمع، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام في كل ليلة من هذه الليالي، وقد أمر عبد الله بن أبي بكر غلامه بأن يرعى الغنم ويأتي بها إلى ذلك الغار ليختفي

أثره وأثر أسماء. وفي صبيحة الليلة الثالثة من مبيت رسول الله عليه وسلم وصاحبه بالغار، وهي صبيحة يوم الاثنين في الأسبوع الأول من ربيع الأول سنة الهجرة<sup>(١)</sup> جاءهما بالراحلتين عامر بن فهيرة مولى أبي بكر؛ وعبد الله بن أريقط الذى استأجراه ليدلها على الطريق، فركبا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ليخدمهما، وسلك بهما الدليل أسفل مكة، ثم مضى بهما فى طريق السلح، وبينما هم فى الطريق إذ لحقهم سراقَة بن مالك المدلجى<sup>(٢)</sup> فلما قرب منهم عثرت فرسه حتى سقط عنها، ثم ركبها وسار حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبوبكر يكثر الالتفات، فساخت قوائم فرس سراقَة فى الأرض فسقط عنها، ولم تنهض إلا بعد أن استغاث صاحبها بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد شاهد غباراً يتصاعد كالدخان من آثار خروج قوائم فرسه من الأرض، فداخله رعب شديد ونادى بطلب الأمان، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه حتى جاءهم وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يقبلوا منه شيئاً؛ وإنما قالوا له: اكنم عنا، فسألهم كتاب أمن؛ فكتب له أبو بكر ما طلب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاد سراقَة من حيث أتى كما ما رأى<sup>(١)</sup> واستمر رسول الله وصاحبه فى طريقهما حتى وصلا قُباء<sup>(٢)</sup> فى يوم الاثنين من ربيع الأول، فنزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى عمرو بن عوف

(١) سنة ثلاث وخمسين من مولده صلى الله عليه وسلم وسنة ثلاث عشرة من البعثة المحمدية.

(٢) لأنه سمع فى أحد مجالس قریش قائل يقول: إني رأيت أسودةً بالساحل أظنها محمداً وأصحابه.

(١) وقد أخبر أبا جهل فيما بعد، وقد أسلم سراقَة يوم فتح مكة وحسن إسلامه.

(٢) موضع بضاحية المدينة.

ونزل أبو بكر رضى الله عنه بالسُّنْح<sup>(٣)</sup> على خارِجة بن زيد، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء ليالى؛ أنشأ فيها مسجداً<sup>(٤)</sup> وصلى فيه عليه الصلاة والسلام بمن معه من المهاجرين والأنصار، وقد أدركه صلى الله عليه وسلم بقاء فخرجوا وتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة<sup>(٥)</sup> قبل نزوله بقاء. على بن أبي طالب رضى الله عنه بعد أن أقام بمكة بعده بضعة أيام ليؤدى ما كان عنده من الودائع إلى أربابها.

وقد كان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يخرجون خارج المدينة يترقبون مقدمه كل يوم حتى يردهم حر الظهيرة، فبعد أن رجعوا إلى منازلهم يوماً سمعوا من ينادى بأعلى صوته: يا معشر العرب؛ هذا حظكم الذى تنتظرون،

ثم تحول عليه الصلاة والسلام من قباء إلى المدينة، يحيط به الأنصار فرحين متقلدى سيوفهم ما بين ماش وراكب، يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن ينزل فى داره والنساء والصبيان والولائد ينشدن:

من ثنيات الوداع

طلع البدر علينا

ما دعا الله داع

وجب الشكر علينا

جنت بالأمر المطاع

أيها المبعوث فينا

(٣) محلة بالمدينة أيضاً.

(٤) هو الموصوف فى القرآن الكريم بأنه أسس على التقوى من أول يوم.

(٥) هى الأرض ذات الحجارة السوداء.

وكان ذلك فى يوم الجمعة، فأدركته صلواتها فى ديار بنى سالم بن عوف، فنزل وصلاتها<sup>(١)</sup>، ثم ركب وسار، وكلما مرّ على دار من دور الأنصار يتضوع إليه أهلها أن ينزل عليهم، ويأخذون بزمام ناقته، فيقول: دعوها فإنها مأمورة. ولم تزل سائرة حتى أتت فناء بنى عدى بن النجار أخواله صلى الله عليه وسلم، فبركت أمام دار أبى أيوب الانصارى، فقال عليه الصلاة والسلام: ههنا المنزل إن شاء الله تعالى، ونزل بدار أبى أيوب، وأقام بها أشهراً حتى اشترى الموضع الذى بركت فيه الناقة، وبنى فيه المسجد<sup>(٢)</sup>، وبنى بجواره حجرتين لزوجتيه عائشة وسودة<sup>(٣)</sup>، وأرسل من استحضر له أهله؛ كما أرسل أبو بكر رضى الله عنه من استحضر أهله، فقدمت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة وأم كلثوم بنتاه<sup>(٤)</sup>، وقدم عبد الله بن أبى بكر بزوجة أبيه وأختيه عائشة وأسماء زوج الزبير بن العوام<sup>(٥)</sup>، وتلاحق المهاجرون فلم يبق من المسلمين إلا قليل ممن لم يتيسر لهم الرحيل.

(١) وهى أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث شرعت فى هذا التاريخ على أشهر الروايات.

(٢) بنى المسجد باللين مرتفعاً عن القامة قليلاً، وجعلت عضادتا الباب من الحجارة، وسقف بالجريد، وجعلت عمده من جذوع النخل، وكان يعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه تشجيعاً للعاملين.

(٣) ولم يكن له من الزوجات إذ ذاك غيرهما، وصارت الحجرات تبنى حول المسجد كلما جاءت زوجة.

(٤) أما زينب ابنته صلى الله عليه وسلم فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع.

(٥) وكانت حاملاً بابنها عبد الله وهو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة.

ولما تمت الهجرة إلى المدينة تنافس الأنصار في المهاجرين؛ كل يريد أن يكون له منهم الحظ الأوفر، فكانوا يقترعون عليهم في النزول، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوى الإخاء بينهم؛ فأخى بين كل أنصاري ونزيلة من المهاجرين، فكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم، وذلك أعلى درجة تقتضيها الأخوة في الله تعالى.

## الغزوات

### مقدمة فى أسباب الغزوات ومشروعية القتال

بعد أن استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وكان بها اليهود من بنى قينقاع وقريظة والنضير، أقرهم عليه الصلاة والسلام على دينهم وأموالهم، واشترط لهم وعليهم شروطاً، وكانوا مع ذلك يظهرون العداوة والبغضاء للمسلمين، ويساعدون جماعة من عرب المدينة كانوا يظهرون الإسلام وهم فى الباطن كفار؛ وكانوا يعرفون بالمنافقين، يرأسهم عبد الله بن أبى بن سلول، وقد قبل صلى الله عليه وسلم من هاتين الفئتين (اليهود والمنافقين) ظواهرهم، فلم يحاربهم ولم يحاربوه بل كان يقاوم الإنكار بالحجج الدامغة والحكم البالغة.

فلم يكن صلى الله عليه وسلم يقاتل أحداً على الدخول فى دين الله، بل كان يدعو إليه ويجاهد فى سبيله بإقامة ساطع الحجج وقاطع البراهين. ولكن لما كانت قريش أمة معادية له، مقاومة لدعوته، معارضة له فيها، وقد آذته وأذت المسلمين وأخرجتهم من ديارهم، واستولت على ما تركوه بمكة من الأموال، وأذت المستضعفين الذين لم يقدرُوا على الهجرة مع رسول الله وأصحابه، أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم وقتال كل معتد وصاد عن الدعوة.

فأول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك مصادرة تجارة قريش التى كانوا يذهبون بها إلى الشام والتى يجلبونها منه.

وكان بعد ذلك - عندما تدعو الحال لقتال من يقف فى وجه الدعوة من

قريش أو غيرهم - يخرج إلى القتال بنفسه ومعهم المقاتلون من المسلمين،

وتارة يبعث مع المقاتلين من يختاره لقيادتهم، وقد سمي المؤرخون ما خرج فيه النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه (غزوة) سواء حارب فيها أم لم يحارب، وسموا ما بعث فيها أحد القواد (سرية).

ففى السنة الأولى من الهجرة بعث سريتين.

وفى السنة الثانية غزا بنفسه سبع غزوات<sup>(١)</sup> وبعث سرية واحدة، وأكبر غزواتها بدر.

وفى السنة الثالثة غزا أربع غزوات<sup>(٢)</sup> وبعث سرية واحدة، وأهم غزواتها غزوة (أحد).

---

(١) غزوة (ودان) وهى قرية بين مكة والمدينة، وكان خروجه لها ليعترض عيراً لقريش فوجدها قد سبقته فرجع.

وغزوة (بواط) وهو جبل جهينة بين المدينة وينبع، وكان خروجه فيها ليعترض عبر قريش فوجدها قد سبقته فرجع.

وغزوة (العشيرة) وهى موضع من بطن ينبع وسنأتى على ذكرها فى الأصل عند الكلام على غزوة بدر الكبرى.

وغزوة (بدر الأولى). (بدر) موضع بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب فى الجنوب الغربى منها، خرج فيها لتعقب من أغار على سرح المدينة فلم يجده.

وغزوة (بدر الكبرى) وسنشرحها فى الأصل.

وغزوة بنى (قينقاع) وهم حى من اليهود حول المدينة نبذوا عهد المسلمين وخانوهم، فخرج إليهم وحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى طلبوا منه أن يخرجوا من ديارهم بالنساء والأولاد ويتركوا للمسلمين الأموال، فقبل منهم ذلك وأجلاهم.

وغزوة (السويق) التى خرج فيها أبو سفيان فى مائتين إلى المدينة وأحرق بعض نخلها، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ففروا تاركين ما كانوا يحملون من أجرية السويق (ولذلك سميت غزوة السويق).

وفى السنة الرابعة غزا ثلاث غزوات<sup>(٣)</sup> وبعث ثلاث سرايات.  
وفى السنة الخامسة غزا أربع غزوات<sup>(٤)</sup> أشهرها غزوة الخندق.

---

(٢) غزوة (غطفان) وهم حى من قيس بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تجمعهم للإغارة على المدينة، فخرج إليهم فقتلوا فى رؤوس الجبال.

وغزوة (بحران) وهو موضع بجهة الفرع من المدينة به قبيلة بنى سليم، أرادوا الإغارة على المدينة فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ففترقوا.

وغزوة (أحد) وسنرحها فى الأصل. وغزوة (حمراء الأسد) وقد ذكرت بالأصل.

(٣) غزوة (بنى النضير) وسنأتى على ذكرها فى الأصل.

وغزوة (ذات الرقاع): اسم لصخور فيها بقع حمر وبيض وسود فى جبل بجهة نجد؛ بلغه

عليه الصلاة والسلام أن قبائل من نجد يتهينون لحربه، فخرج إليهم فى سبعمئة مقاتل فلم

يجدوا غير النسوة فأخذوهن وعادوا، أما رجالهم فإبهم ففترقوا فى رؤوس الجبال.

وغزوة (بدر الآخرة) وسيأتى الكلام عليها فى آخر غزوة أحد.

(٤) غزوة (دومة الجندل) وهى جهة بين المدينة المنورة ودمشق، على بعد خمس ليال من

دمشق وخمس عشرة ليلة من المدينة، بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا من

الأعراب يعتدون على من يمر بهم وأنهم يريدون القرب من المدينة، فخرج إليهم فى ألف

من أصحابه، فلما علموا بقربه منهم ففترقوا وغنم المسلمون مواشيهم.

وغزوة (بنى المصطلق) وهم حى من خزاعة ساعدوا قريشا على حرب المسلمين فى

غزوة أحد ثم تجمعوا لحرب المسلمين، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فى جمع

كثير فالتقى الجمعان بجهة (المريسيع) وهو ماء لقبيلة خزاعة؛ فانهزم المشركون بين قتيل

وأسير، وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت زعيمهم الحارث وأعتق

سائر نساتهم، وفى أثناء رجوع المسلمين من هذه الغزوة حصلت حادثة الإفك المشهورة.

وغزوة (الخندق) وغزوة (بنى قريظة) وسيأتى الكلام عليهما فى الأصل.

وفى السنة السادسة غزا ثلاث غزوات<sup>(١)</sup> وبعث إحدى عشرة سرية، ومن غزواتها غزوة الحديبية.

وفى السنة السابعة غزا غزوة واحدة وهى غزوة خيبر وبعث ثلاث سرايا.

وفى السنة الثامنة غزا أربع غزوات<sup>(٢)</sup> وبعث عشر سرايا، وأكبر غزواتها غزوة فتح مكة المكرمة وغزوة حنين.

وفى السنة التاسعة غزا غزوة واحدة وهى غزوة تبوك وبعث سرية واحدة.

وفى السنة العاشرة بعث سريتين، وفيها حج حجة الوداع.

وفى السنة الحادية عشر بعث سرية واحدة.

فجملة الغزوات التى خرج للقتال فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم: سبع وعشرون غزوة، وجملة السرايا التى بعث فيها القواد ولم يخرج فيها بنفسه: خمس وثلاثون سرية. ولنتكلم على المهم من تلك الغزوات باختصار.

---

(١) غزوة (بنى لحيان) وغزوة (الغابة) وغزوة (الحديبية).

(٢) غزوة (موتة) وغزوة (الفتح) وغزوة (حنين) وغزوة (الطائف) وسيأتى الكلام على جميعها فى الأصل.

## غزوة بدر الكبرى

كان من عادة قريش أن تذهب بتجارها إلى الشام لتبيع وتشتري فتمر في ذهابها وإيابها بطريق المدينة، ففي شهر جمادى الثانية من السنة الثانية للهجرة بعثت قريش بأعظم تجارة لها إلى الشام في عير كبيرة<sup>(٢)</sup> خرج بها أبو سفيان بن حرب في بضعة وثلاثين رجلا من قريش، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم في مائة وخمسين رجلا من المهاجرين فلم يدركهم<sup>(١)</sup>، ولما علم برجوعهم من الشام خرج إليهم في العشر الأوائل من شهر رمضان في ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار، معهم فرسان وسبعون بعيرا، وسار حتى عسكر بالروحاء<sup>(٣)</sup>، وكان أبو سفيان حين قرب من الحجاز يسير محتسبا، فلما علم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الطريق السلوكية وسار بساحل البحر، ثم بعث رجلا إلى مكة ليخبر قريشا ويستتفرهم لحفظ أموالهم، فقام منهم تسعمائة وخمسون رجلا فيهم مائة فارس وسبعمائة بعير، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج هذا الجمع استشار أصحابه فأشاروا بالإقدام، فارتحل بهم حتى وصل قريبا من وادي بدر، فبلغه أن أبا سفيان قد نجا بالتجارة وأن قريشا وراء الوادي، لأن أبا جهل أشار عليهم بعد أن علموا بنجاة العير ألا يرجعوا حتى يصلوا بدرأ فينحروا ويطعموا الطعام ويسقوا الخمور فتسمع بهم العرب فتهابهم أبدا، فسار جيش المشركين حتى نزلوا

(٢) هم يسمون الركب الخارج بالتجارة عيرا.

(١) وتسمى هذه غزوة (العشيرة) (واد من ناحية بدر).

(٢) موضع على بعد أربعين ميلا في جنوب المدينة.

بالعودة القصوى<sup>(٣)</sup> من الوادى وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى نزلوا بالعودة الدنيا من الوادى، ولم يكن بها ماء فأرسل الله تعالى الغيث حتى سأل الوادى فشرّب المسلمون وملئوا أسقيتهم، وتلبدت لهم الأرض حتى سهل المسير فيها، أما الجهة التى كان بها المشركون فإن المطر أوحلها، فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بأقرب ماء من القوم، وأمر ببناء حوض يملأ ماء لجيشه؛ كما أمر بأن يغور ما وراءه من الآبار حتى ينقطع أمل المشركين فى الشرب من وراء المسلمين، ثم أذن لأصحابه أن يبنوا له عريشاً يأوى إليه، فبنى له فوق تل مشرف على ميدان القتال.

فلما تراءى الجيشان<sup>(٤)</sup> قام النبي صلى الله عليه وسلم بتعديل صفوف جيشه حتى صاروا كأنهم بنيان مرصوص، ونظر لقريش فقال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتني، ثم برز ثلاثة من صفوف المشركين، وهم عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة وطلبوا من يخرج إليهم، فبرز لهم ثلاثة من الأنصار، فقال المشركون: إنما نطلب أكفاءنا من بنى عمنا (أى القرشيين)، فبرز لهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث وعلى بن أبى طالب، فكان حمزة بإزاء شيبة وكان عبيدة بإزاء عتبة وكان على بإزاء الوليد، فأما حمزة وعلى فقد أجهز كل منهما على مبارزه، وأما عبيدة فقد ضرب صاحبه ضربة لم تمته وضربه صاحبه مثلها،

(٣) عودة الوادى : شاطئه، والقصوى: البعيدة.

(٤) وكان ذلك فى صبيحة يوم الثلاثاء ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة.

فجاء على وحمزة فأجهزا على مبارز عبيدة وحملا عبيدة وهو جريح إلى صفوف المسلمين<sup>(١)</sup>.

ثم بدأ الهجوم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش يشجع الناس ويقول: (سِيَهْزَمُ الْجَنْعُ وَيُوَكِّنُ الدُّبْرَ)، وأخذ من الحصباء حفنة رمى بها في وجوه المشركين قائلاً: شاهت الوجوه<sup>(٢)</sup>، ثم قال لأصحابه: شدوا عليهم. فحمى الوطيس<sup>(٣)</sup> وأمد الله تعالى المسلمين بملائكة النصر، فلم تك إلا ساعة حتى انهزم المشركون وولوا الأدبار، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقتلوا منهم سبعين رجلاً وأسروا سبعين، ومن بين القتلى كثيرون من صناديدهم.

ولما انتهت الموقعة أمر عليه الصلاة والسلام بدفن الشهداء من المسلمين، كما أمر بإلقاء قتلى المشركين في قليب بدر، ولم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً رضى الله عنهم.

بعد أن انتهى القتال في بدر ودفن الشهداء والقتلى؛ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم فجمعت، وأرسل من يبشر أهل المدينة بالنصر، ثم عاد عليه الصلاة والسلام بالغنائم والأسرى إلى المدينة، فقسم الغنائم بين المجاهدين ومن في حكمهم من المخلفين لمصلحة، وحفظ لورثة الشهداء أسهمهم، وأما الأسرى فرأى بعد أن استشار أصحابه فيهم أن يستبقيهم ويقبل الفداء من قريش عمّن تريد فداءه، فبعثت قريش بالمال لفداء أسراهم، فكان فداء

(١) وقد مات من آثار جراحه رضى الله عنه.

(٢) شاهت الوجوه: قبحت.

(٣) أى أشد الحرب.

الرجل من ألف درهم الى أربعة آلاف درهم بحسب منزلته فيهم، ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المسلمين يعلمهم، فكان ذلك فداء.

وكان من الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يُعفه من الفداء مع أنه إنما خرج لهذه الحرب مُكْرَهَا<sup>(١)</sup>. وكان منهم أيضاً أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد افتدته رضى الله عنها بقلادتها فرئت إليها، واشترط عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يمكنها من الهجرة إلى المدينة فوفى بشرطه، وقد أسلم قبل فتح مكة، فرد إليه النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته. ومنهم من منّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بغير فداء؛ كأبى عزة الجمحى الذى كان يثير بشعره قريشاً ضد المسلمين، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفكه من الأسر على ألا يعود لمثل ذلك، فأطلقه على هذا الشرط<sup>(٢)</sup>.

ومن قتلى قريش: أبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وحنظلة بن أبى سيفان، والوليد بن عتبة، والجراح والد أبى عبيدة<sup>(٣)</sup>. وأما شهداء بدر الأربعة عشر فمنهم ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، فمن المهاجرين: عبيدة بن الحارث وعمير بن أبى وقاص، ومن

(١) أسلم العباس عقب غزوة بدر ولكنه لم يظهر إسلامه إلا قبيل فتح مكة.

(٢) ولكنه لم يف بعهده بعد، وقتل بعد غزوة أحد.

(٣) قتله ابنه أبو عبيدة بعد أن ابتعد عنه فلم يرجع.

الأنصار: عوف ومعوذ ابنا عفراء الخزرجيان، وهما اللذان قتلا أبا جهل، ومنهم سعد بن خيثمة الأوسى أحد النقباء فى بيعة العقبة.

وهذه الغزوة الكبرى التى انتصر فيها المسلمون ذلك الانتصار الباهر، مع قلة عددهم وعددهم وكثرة عدد العدو وعدده، من الأدلة الكبرى على عناية الله تعالى بالمسلمين الصادقي العزيمة الممثلة قلوبهم طمأنينة بالله تعالى وثقة بما وعدهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الفوز والنصر.

ولقد دخل بسببها الرعب فى قلوب كافة العرب، فكانت للمسلمين عزاً وهيبة وقوة، والحمد لله رب العالمين.

## غزوة أحد

بعد أن مضى على غزوة بدر عام كامل؛ وكانت عير قريش لم تنزل موقوفة بدار الندوة؛ اجتمع من بقى من عظمائهم إلى أبى سفيان، وانفقوا على أن يتركوا ربح أموالهم فى تلك العير استعداداً لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ربحها نحو خمسين ألف دينار، فاجتمع منهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم حلفاؤهم من بنى المصطلق وغيرهم، وخرجوا بالقيان والدفوف والخمور، ومعهم هند امرأة أبى سفيان وخمس عشرة امرأة ليشجعنهم، وساروا حتى وصلوا إلى ذى الحليفة بالقرب من المدينة، وقد كان العباس بن عبد المطلب بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب يخبره فيه بخروج القوم، فجمع عليه الصلاة والسلام أصحابه وأخبرهم الخبر، واستشارهم فى البقاء بالمدينة حتى إذا قدم القوم إليها قاتلوهم، فكان رأى الأكثرين الخروج للقاء العدو، ففى يوم الجمعة لعشر خلون من شوال فى السنة الثالثة للهجرة صلى الجمعة بالناس، وحضتهم فى خطبتها على الثبات والصبر، ثم دخل حجرته فلبس درعين وتقلد السيف وألقى الترس وراء ظهره، ولما خرج للناس بعدته هذه قال بعض من أشار بالخروج: نتبع ما عرضته من البقاء، فقال: ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه. ثم عقد الألوية واستعرض الجيش وسار بألف رجل حتى منتصف الطريق بين المدينة وجبل أحد<sup>(١)</sup>، فرجع عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين فى ثلاثمائة من أصحابه، ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد وجعل ظهره للجبل ووجهه

(١) أحد: جبل فى شمال المدينة.

للمدينة؛ وقد نزل المشركون ببطن الوادي بالقرب من أحد، فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرماة؛ وكانوا خمسين رجلاً؛ فجعلهم خلف الجيش على ظهر الجبل، وأمرهم ألا يبرحوا مكانهم، ثم عدل الصفوف وخطب في الجيش بالنصائح والمواعظ، ثم خرج رجل من صفوف المشركين فيرز له الزبير بن العوام فقتله؛ وقتل علي بن أبي طالب حامل لواء المشركين<sup>(٢)</sup>، وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق يطلب المبارزة فهم أبو بكر أن يبرز إليه؛ فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً له: متعنا بنفسك يا أبا بكر.

ثم التقت الصفوف، وجعلت نساء قريش يضربن الدفوف وينشدن الأشعار تهييجاً لرجالهن، فدارت رحا الحرب، وكانت الغلبة للمسلمين، إلا أن الرماة لما رأوا انكشاف المشركين ترك أكثرهم مكانهم الذي أمروا ألا يتحولوا عنه، وتحولوا إلى العسكر، وخلوا ظهر المسلمين للعدو، واشتغل بعض الجيش بالغنائم، فاختلفت الصفوف، فتحولت فرسان المشركين بقيادة خالد بن الوليد وجاءوهم من خلفهم، فأصابوا فيهم، وأذيع قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأضعف ذلك من عزائم الجيش، وانهزم جماعة من المسلمين، وانكشف مكان النبي صلى الله عليه وسلم للعدو فأصابته الحجارة، ووقع لشقه، فأصيبت رباعيته<sup>(١)</sup> وجرح وجهه وشفته، ودخلت حلقتان من المغفر<sup>(٢)</sup> في وجنته، وأحاط

<sup>(٢)</sup> هو حمزة أرتاة.

<sup>(١)</sup> الرباعية هي السن التي بين الناب والثنية.

<sup>(٢)</sup> المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، وقد عالج أبو عبيدة بن الجراح نزع هاتين الحلقتين من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزعهما، وكسرت في ذلك ثيابه رضى الله عنه.

به الكفار فدافع دونه خمسة من الأنصار، وعاد إليهم فئة من المسلمين حتى أجلوا الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ممن امتاز بالمدافعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت: سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو طلحة الأنصاري الذي نثر كنانته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو دجانة الذي كان النبل يقع في ظهره وهو منحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بعد أن أجلى الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه كعب بن مالك الأنصاري، فشرع ينادي: يا معشر المسلمين أبشروا، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اسكت، ثم سار عليه الصلاة والسلام نحو الشعب بين سعد بن أبي وقاص وسعد بن عباد، ومعه أبو بكر وعمر وعليّ وطلحة والزبير وغيرهم، وجاءت فاطمة الزهراء رضى الله عنها فغسلت عنه الدم وضمدت جروحه، وأقبل أبي بن خلف من المشركين يقول: أين محمد؟ لانتجوت إن نجا، فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم بحربة فوقع عن فرسه، وأصيب في عنقه، ومات بسبب ذلك<sup>(٣)</sup>. ثم أراد عليه الصلاة والسلام أن يعلو صخرة في الشعب لينظر جماعة المشركين فلم يتمكن من القيام بنفسه، فأعانه طلحة بن عبيد الله حتى أصعده على الصخرة، فرأى جماعة المشركين على ظهر الجبل فقال:

لا ينبغي لهم أن يعلونا. فأرسل إليهم عمر بن الخطاب في جماعة فأنزلوهم، وقد صعد أبو سفيان ربوة ونادى بأعلى صوته: إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر،

(٣) ولم يقتل بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد غيره، لا في هذه الغزوة ولا في غيرها.

اعلُ هُبُلٌ<sup>(١)</sup>. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب أن يجيبه، فأجابه عمر رضى الله عنه بقوله: الله أعلى وأجلّ لاسواء، قتلنا فى الجنة وقتلكم فى النار. فلما سمع أبو سفيان صوت عمر قال: هلمَّ إلى ياعمر، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيه، فقال أبو سفيان: أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمدا؟ فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن. ثم نادى أبو سفيان: إن موعدكم بدر العام المقبل، فأجيب من قبل المسلمين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، هو بيننا وبينك موعد<sup>(٢)</sup>. ثم انصرفوا وتفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى وأمر بدفنهم، وعاد إلى المدينة فى منتصف شوال.

وقد بلغ عدد قتلى المسلمين فى هذه الغزوة سبعين شهيدا، منهم أربعة من المهاجرين والباقيون من الأنصار، وقتل من المشركين اثنان وعشرون.

وجعلت زوجة أبى سفيان ومن معها من النساء يمثلن بالشهداء، فجدعن الأذان والأنوف، واتخذن منها قلائد، وبقرت زوجة أبى سفيان بطن حمزة، ولاكت كبده تشفيا من نكايتهم فى غزوة بدر.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وصوله إلى المدينة بليلة واحدة أن يخرج معه لتعقب العدو كلُّ من حضر هذه الغزوة، فلما شعر أبو سفيان بذلك همَّ أن يعود بالمشركين للقاء المسلمين، فقيل له: إن محمدا قد أقبل فى جميع أصحابه، فخاف وانتشى عن عزمه، واستمر راجعا إلى مكة، وأقام

(١) هبل: اسم صنم لهم.

(٢) وقد أخلف أبو سفيان مواعده فلم يخرج فى العام التالى، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد خرج فى ذلك العام إلى بدر ولم يلق أحدا، وسميت هذه الغزوة غزوة بدر الأخرى أو الصغرى.

رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه في حمراء الأسد<sup>(٣)</sup> ثلاثة أيام، ثم عاد إلى المدينة بعد أن تأكد من انصراف المشركين إلى مكة.

## غزوة الخندق

كان بين المسلمين من الخرج وبين يهود بني النضير المجاورين للمدينة عهد على التناصر، فخان اليهود عهدهم مع المسلمين، حيث هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج عليه الصلاة والسلام إليهم في السنة الرابعة للهجرة حتى أجلاهم عن مواطنهم، فأورث الله تعالى المسلمين أرضهم وديارهم، ولم يقر لهؤلاء اليهود قرار بعد ذلك فذهب جمع منهم إلى مكة، وقابلوا رؤساء قريش واتفقوا معهم ومع قبيلة غطفان على حرب المسلمين، فتجهزت قريش ومن تبعهم من كنانة، وتجهزت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، وتحزبوا جميعاً على محاربة المسلمين، حتى بلغ عدد جميعهم عشرة آلاف محارب قاندهم العام أبو سفيان. فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجمعهم لذلك استشار أصحابه فيما يعمل لمقاومتهم، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق في شمال المدينة من الجهة التي تؤتى منها المدينة، فحفروه وجاءت قريش ومن معها من الأحزاب ونزلوا خلف الخندق، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين أمام الخندق، واستمروا على هذه الحالة يترامون بالنبل بضعاً وعشرين ليلة، وقد رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم حراساً على الخندق لئلا يقتحمه الأعداء ليلاً، وكان يحرس بنفسه أصعب جهة فيه، ولما

(٣) موضع على ثمانية أميال من المدينة في طريق مكة.

طالت المدة اقتحم جماعة من المشركين الخندق بخيلهم، فمنهم من وقع فيه فاندق عنقه، ومنهم من برز له بعض شجعان المسلمين فقتله، وقد استمرت هذه الحركة يوما كاملا.

### غزوة بنى قريظة

ثم بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بنى قريظة القاطنين بجوار المدينة يريدون نقض ما بينهم وبينه من العهود، فاسترجع من جيشه خمسمائة رجل لحراسة النساء والزرارى، ولما علم المسلمون بأمر بنى قريظة اشتد وجلهم لأن العدو قد أصبح محيطا بهم من الخارج والداخل، ولكن الله سبحانه وتعالى قيض لرسوله صلى الله عليه وسلم من انبث بين الأعداء يفرق جموعهم بالخدعة والحيلة، حتى استحکم الفشل بينهم، وخاف بعضهم بعضا، وأرسل الله تعالى عليهم ريحا باردة فى ليل مظلم أكفأت قدورهم وطرحت أنيتهم، فارتحلوا من ليلتهم، وأزاح الله تعالى هذه الغمة التى تحزب فيها الأحزاب من قبائل العرب واليهود على المسلمين، وكانت هذه الحادثة بين شهرى شوال وذى القعدة من شهور السنة الخامسة للهجرة، واستشهد فيها من المسلمين ستة، وقتل من المشركين ثلاثة.

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخلع لباس الحرب حتى حاصر بنى قريظة لخيانتهم ونقضهم للعهد، واستمر محاصرا لهم خمسا وعشرين ليلة، حتى كانوا يهلكون ولم يروا بدا من التمسليم لما يحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضوا بأن ينزلوا على حكم سيدهم سعد بن معاذ، فحكم بقتل رجالهم وسبى نسايتهم وذراريهم وأخذ غنائمهم، فحبس الرجال

فى دور الأنصار حتى حفرت لهم خنادق ضربت أعناقهم فيها، وكانوا نحو سبعمائة رجل، وبذلك أراح الله المسلمين من شر مجاورة هؤلاء الأعداء، والله عزيز ذو انتقام.

## غزوة الحديبية وصلحها<sup>(١)</sup>

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة الخندق بقية السنة الخامسة للهجرة، وفى السنة السادسة خرج إلى بنى لحيان الذين قتلوا عاصم بن ثابت ومن معه، فوجد القوم قد تفرقوا، ثم إلى ذى قرد لرد إغارة عيينة بن حصن على لقاحه صلى الله عليه وسلم، ففر العدو بعد مناوشة لم تطل، ثم إلى بنى المصطلق لما بلغه أنهم يجمعون له الجموع، فهزمهم وغنم منهم أموالا وسبايا.

ثم خرج صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة من تلك السنة إلى مكة يقصد العمرة، وخرج معه من المهاجرين والأنصار ألف وخمسمائة، وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لم يخرج محاربا، وأمر أصحابه ألا يستصحبوا معهم من السلاح إلا السيوف مغمدة فى قُرْبِها، حتى لا يدخلوا المسجد الحرام بسيفوف مجردة، فسار عليه الصلاة والسلام بهذا الجمع حتى وصلوا عسفان<sup>(٢)</sup>، فجاءه من أخبره أن قريشاً اتفقت على صد المسلمين عن مكة، وتجهزت للحرب، وأخرجت خالد

(١) الحديبية بئر بقرب مكة سُمى الموضع باسمها.

(٢) لقاخ: جمع لُقْحَة، وهى الناقة الطلوب.

(٣) موضع على مرحلتين من مكة.

ابن الوليد فى مائتى فارس ليصدوا المسلمين عن التقدم، فسار المسلمون من طريق آخر تملك مكة من أسفلها، حتى وصلوا إلى مهبط الحديبية، فبركت ناقته صلى الله عليه وسلم، فأمر أصحابه بالنزول، وهناك جاء رسول من قريش يسأل عن سبب مجيء المسلمين، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بمقصده، فلما رجع إلى قريش لم يتقوا به، فأرسلوا آخر، فلما رأى الهدى وسمع التلبية رجع وقال لقريش: إن القوم جاءوا معتمرين، وما ينبغي أن يُصدُّوا، وما ينبغي أن تحج لخم وجزام وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب، فلم تسمع قريش لقوله، وبعثوا آخر فرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم احترامهم لنبيهم ومحبتهم إياه، فرجع إلى قريش وحدثهم بما رأى وقال: إني والله ما رأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه. فتكلم القوم فيما بينهم، وقالوا: نرده عامنا ويرجع إلى قابل.

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم عثمان بن عفان رضى الله عنه فى جوار رجل من بنى أمية ليعلمهم بقصده، وخرج معه عشرة من المسلمين لزيارة أقاربهم بمكة، فقالت قريش: إن محمدا لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ثم منعوا سيدنا عثمان رضى الله عنه ومن معه من الرجوع، وشاع بين المسلمين أنه قد قتل، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه للبيعة على القتل، فبايعوه على ذلك<sup>(١)</sup>، وبعث المشركون طلائعهم فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا.

(١) وكان ذلك تحت شجرة سميت بعد بشجرة الرضوان، وسميت هذه للبيعة أيضا بيعة الرضوان.

ولما سمعت قريش بهذه البيعة خافوا أن تدور عليهم الدائرة؛ فأرسلوا أحدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكالمة فى الصلح، وبعد أن أطلقوا سبيل سيدنا عثمان ومن معه، وأطلق المسلمون من أسروهم، اتفق معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قواعد الصلح، وهى أربعة أمور: ترك الحرب بين الفريقين عشر سنين. وأن يرجع رسول الله والمسلمون من عامهم دون أن يدخلوا مكة؛ فإذا جاء العام الثانى دخلوها بدون سلاح سوى السيوف فى القرب وأقاموا بها ثلاثة أيام بعد أن تخرج منها قريش. وأن أتى إلى المسلمين من قريش ردوه إليهم، ومن جاء إلى قريش من المسلمين لايلزمون برده. وأن من أحب أن يدخل فى عهد المسلمين دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه. وأملى النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب، فكتب بذلك وثيقة، وقد رضى المسلمون بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تألموا من بعض هذه الشروط، ثم تحلل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من عمرتهم وعادوا إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

### مراسلة رسول الله صلى الله عليه وسلم للملوك

بعد تلك الهدنة التى تمت بصلح الحديبية أمن المسلمون شر قريش، وأصبحت طرق المواصلات مع سائر الجهات متيسرة، فشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نشر الدعوة وتعميمها، فكتب ملوك الأرض يدعوهم وأممهم إلى الإسلام، واتخذ له خاتماً نقشه : (محمد رسول الله).

(٢) وقد نزلت فى هذه الحادثة سورة الفتح.

فبعث دحية الكلبي بكتاب إلى قيصر ملك الروم وكان بالقدس، فلما وصله للكتاب، وكان أبو سفيان بالشام في تجارة، فاستدعاه وسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. فسأله: هل تكلم بهذا تقول أحد قبلك؟ فقال: لا. فسأله هل كنتم تتهمونه بالكذب؟ فقال: لا. فسأله: هل كان من آبائه ملك؟ فقال: لا. فسأله: هل أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم. فسأله: فهل يزيدون أم ينقصون؟ فقال: بل يزيدون. فسأله: فهل يرتد أحد منهم كراهية في دينه؟ فقال: لا. فسأله: هل يغدر إذا عاهد؟ فقال: لا. فسأله: هل قاتلتموه وكيف حربكم وحربه؟ فقال: حاربناه، وكانت الحرب بيننا وبينه سجالا، مرة لنا ومرة علينا. فسأله: بم يأمركم؟ فقال: يقول اعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئا، وينهى عما كان يعبد آباؤنا، ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. فاستنتج ذلك الملك مما ذكر أنه نبي، وقل لأبي سفيان: إن كان ما كلمتني به حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، ثم جمع عظماء الروم وحادثهم في اتباع هذا النبي، فنفروا وقد غلب عليه حب ملكه فلم يسلم، ولكنه رد دحية ردا جميلا.

وأرسل عليه الصلاة والسلام الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير بصري، قلما بلغ مؤتة من قرى الشام تعرض له شرحبيل العسالي فقتله<sup>(١)</sup>. وأرسل عليه الصلاة والسلام كتاباً إلى أمير دمشق التابع لملك الروم، فلما وصله الكتاب وقرأه رمى به واستعد لحرب المسلمين، واستأذن ملكه في ذلك فلم يأذن له.

(١) ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره.

وأرسل عليه الصلاة والسلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى المقوقس أمير مصر من قبل ملك الروم، وكان بالإسكندرية، فلما قرأه قال لحاطب: ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده؟ فقال له حاطب: أأست تشهد أن عيسى ابن الله رسول الله؟ فلم لم يمنعه الله حين أخذه قومه ليقتلوه؟ فقال المقوقس لحاطب: أحسنت، ولقد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضار، ولا بالكاهن الكذاب، وسأنظر. ثم كتب ردا لجواب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام لا اعتراف فيه ولا إنكار، وأهدى له جاريتين، إحداهما مارية التي تسرى بها عليه الصلاة والسلام وأتى منها بولده إبراهيم عليه السلام.

وأرسل عليه الصلاة والسلام كتابا إلى النجاشي ملك الحبشة، فلما قرأه قال للرسول: إني أعلم والله أن عيسى بشر به، ولكن أعوانى بالحبشة قليل. وأرسل إلى كسرى ملك الفرس فاستكبر ومزق الكتاب، فمزق الله تعالى ملكه كل ممزق.

وأرسل إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، فأسلم وأسلم معه بعض قومه، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم أميرا من قبله على جهة البحرين. وأرسل إلى جعفر وعبد الله بنى الجلندى ملكى عمان، فأسلما بعد أن سألا عما يأمر به النبي وينهى عنه، فقال لهما رسول النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر؛ وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. وأرسل عليه الصلاة والسلام الى هوزة بن على ملك اليمامة، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل له بعض الأمر فلم يجبه.

## غزوة خيبر

بعد أن تم صلح الحديبية واستراح المسلمون من غزوات قريش، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستريح أيضا من أعدائه القرييين الذين يتربصون به الشر، وهم أهل خيبر الذين حزبوا الأحزاب على المسلمين في غزوة الخندق، فخرج صلى الله عليه وسلم إلى خيبر في أول السنة السابعة للهجرة، وكانت خيبر محصنة بثمانية حصون، فعسكر المسلمون خارجها، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم ليرهبهم، فلما رأهم مصرين على القتال بدأهم بالمراماة، واستعمروا في المناوشة سبعة أيام، ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقيهم، وتبعوهم حتى دخلوا أول حصن، فانهزم الأعداء إلى الحصن الذي يليه، فقاتلوا عنه قتالا شديدا حتى كانوا يردون المسلمين عنه، ولكن المسلمين اقتحموا عليهم هذا الحصن حتى ألجأوهم إلى الحصن الذي يليه، وحاصروهم فيه ومنعوا عنهم جداول الماء، فخرجوا وقتلوا حتى انهزموا إلى حصن آخر، وهكذا حتى لم يبق غير الحصنين الأخيرين فلم يقاوم أهلها، بل سلموا طالبين حقن دمايتهم، وأن يخرجوا من أرض خيبر بذراريهم، لا يأخذ الواحد منهم إلا ثوبا واحدا على ظهره، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، وغنم المسلمون من خيبر غنائم كثيرة من دروع وسيوف ورماح وأقواس وحلى وأثاث ومتاع وغنم وطعام. وقد قتل من اليهود في هذه الغزوة ثلاثة وتسعون قتيلًا، واستشهد من المسلمين خمسة عشر شهيدًا.

وفي هذه الغزوة أهدت امرأة يهودية لرسول الله صلى الله عليه وسلم نزع شاة مسمومة فأخذ منها مضغة ثم لفظها، حيث أعلمه الله تعالى أنها مسمومة، وقد اعترفت تلك المرأة بما فعلت، وقالت: قلت إن كان نبيًا لن يضر،

وإن كان كاذباً أراحنا الله منه. فعفا عنها صلى الله عليه وسلم.

وبعد فتح خيبر أرسل صلى الله عليه وسلم إلى يهود فدك، فصالحوا على

أن يتركوا له أموالهم ويحقن دماءهم، فأجابهم لذلك.

وبعد رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة بقية من كان فيها من

المهاجرين، منهم جعفر بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وقومه، بعد أن

أقاموا بها عشر سنين.

وقد أسلم بعد غزوة خيبر ثلاثة من عظماء الرجال: خالد بن الوليد

وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة العبدي.

### عمرة القضاء

ولما حال الحول على صلح الحديبية خرج رسول الله صلى الله عليه

وسلم بأصحابه الحديبية الذين صدّوا معه عن البيت عام الحديبية، ليقتضوا تلك

العمرة التي صدّوا عنها حسب عهدة الحديبية، فلما وصلوا إلى مكة خرجت منها

قريش ودخلها المسلمون وقضوا عمرتهم، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام وانصرفوا إلى

المدينة بسلام.

### سرية مؤتة

في منتصف السنة الثامنة للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

جيشاً مؤلفاً من ثلاثة آلاف مقاتل، للاقتصاص من عمرو بن شرحبيل أمير

بصرى من قبل الروم لقتله الحارث بن عمير الذي بعثه إليه رسول الله صلى الله

عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام، فلما بلغ هذا الجيش أرض مؤتة قابلهم الروم

والعرب المتحصرة في مائة وخمسين ألفاً، وكان قائد المسلمين زيد بن حارثة  
فقتل، فتولى القيادة جعفر بن أبي طالب فقتل، ثم عبد الله بن رواحة فقتل، وكان  
هذا الترتيب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد أن استشهد من سماهم  
النبي صلى الله عليه وسلم اتفق الجيش على تولية خالد بن الوليد، فجعل يخادع  
الأعداء حتى ألقى الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا.

### فتح مكة

كانت بطون خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما كانت  
بنو بكر بن وائل في عهد قريش، وكان بين هذين الجيشين دماء، فثار بنو بكر  
على خزاعة، وساعدتهم قريش بالسلاح والأنفس وقتلواهم، فقدم على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم نفر من خزاعة وأخبروه بنقض قريش للعهد، فلما أحسست  
قريش بما فعلت جاء منهم أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقوى  
العهد ويزيد في المدة فلم يجبه إلى ذلك، وتأكد المسلمون من نقض قريش للعهد،  
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يتجهزوا وكنم عنهم الوجه،  
فاجتمع لذلك عشرة آلاف من المسلمين من المهاجرين والأنصار وطوائف من  
العرب، وخرج بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضت من شهر  
رمضان في السنة الثامنة للهجرة، وساروا حتى نزلوا بمر الظهران بقرب مكة  
بدون أن تعلم قريش بوجهتهم.

وقد كان العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
مهاجراً إلى المدينة بأهله، فقابله عليه الصلاة والسلام في الطريق فأرجعه معه،  
وبعث بعياله إلى المدينة. وبينما جيش المسلمين بمر الظهران إذ خرج أبو سفيان

ومعه آخران يتجسسون الأخبار، لما كانوا يتوقعونه من عدم سكوت المسلمين على نقض العهد، فظفرت بهم جنود المسلمين، وكان أول من لقي أبا سفيان العباس بن عبد المطلب، فأخذه معه حتى وصل به إلى خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمنه وسلمه للعباس. فلما أصبح أسلم وشهد شهادة الحق، فقال العباس: يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فقال عليه الصلاة والسلام: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

ثم أمر العباس أن يقف بأبي سفيان حيث يسير الجيش حتى ينظر إلى المسلمين، فجعلت القبائل تمر عليه كتيبة كتيبة حتى انتهت، وانطلق أبو سفيان إلى مكة مسرعاً ونادى بأعلى صوته: يامعشر قريش، لقد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون<sup>(١)</sup>، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل مكة بمن معه من كدى<sup>(٢)</sup>، ودخل صلى الله عليه وسلم ومن معه من كداء<sup>(٣)</sup>، ونادى مناديه: من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. واستثنى من ذلك جماعة أهدر دماءهم لشدة ما ألحقوا بالمسلمين من الأذى<sup>(٤)</sup>.

(١) جبل بمعلاة مكة.

(٢) جبل بأسفل مكة من جهة اليمن.

(٣) جبل بأعلا مكة.

(٤) منهم عبد الله بن سعد بنى أبي سرح وعكرمة بن أبي جهل وكعب بن زهير ووحشى قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان وهبار بن الأسود والحارث بن هشام، وهؤلاء قد أسلموا.

وقد صادف جيش خالد بن الوليد في دخوله مقاومة من طائشى قريش فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين، واستشهد من فرقته اثنان. وأما فرقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تصادف مقاومة، وقد دخل عليه الصلاة والسلام راكباً راحلته، وهو منحني على الرجل تواضعاً لله تعالى، وشكراً له عز وجل على هذه النعمة العظمى، وكان ذلك صباح يوم الجمعة لعشر خلت من رمضان.

وقد نصبت له عليه الصلاة والسلام قبة في الموضع الذي أشار بأن تركز فيه الرابية، فاستراح في القبة قليلاً، ثم سار وهو يقرأ سورة الفتح وبجانبه أبو بكر، حتى دخل البيت وطاف سبعمائة على راحلته، واستلم الحجر بمحجنه، وكان حول الكعبة أصنام كثيرة؛ فكان يطعنهما بعود في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، وما يبدي الباطل وما يعيد.

بعد أن أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه أمر بالاصنام فأزيلت من حول الكعبة، وطهر الكعبة من هذه المعبودات الباطلة، ثم أخذ عليه الصلاة والسلام مفتاح الكعبة من حاجبها عثمان بن طلحة الشيبى، ودخلها وكبير في نواحيها، ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه، ثم جلس في المسجد والناس حوله ينتظرون ما هو أمر به في شأن قريش، فقال عليه الصلاة والسلام:

يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. ورد مفتاح الكعبة لسانها، ثم خطب في الناس خطبة أبان فيها كثيراً من أحكام الدين، وبعد أن أتمها شرع الناس يبايعونه على الإسلام، فأسلم كثير من قريش. وممن أسلم في ذلك الوقت معاوية بن أبى سفيان، وأبو قحافة والد الصديق، وأسلم بعض من أهدر رسول الله صلى الله

عليه وسلم دمه فى ذلك اليوم، وباع فقبلت بيعته ، وبعد أن تمت بيعة الرجال بايعه النساء.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة ، وكانت هذه أول مرة ظهر فيها الإسلام على ظهر البيت. وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً، أرسل فى أثنائها خالد بن الوليد فى ثلاثين فارساً لهدم هيكـل (العزى) ، وهو أكبر صنم لقريش، وأرسل عمرو بن العاص لهدم (سواع) وهو أعظم صنم لهذيل ، وبعث آخر لهدم (مناة) وهى صنم لخزاعة.

### غزوة حنين

وبهذا الفتح دانت للإسلام جموع العرب، ودخلوا فى دين الله أفواجا. غير أن قبيلتى هوازن وتقيف أخذتهم العزة والأنفة وتجمعوا لحرب المسلمين فى مكة، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لهم فى اثنى عشر ألف مقاتل (وهو أكثر جنده عليه الصلاة والسلام)، فلما وصل جيش المسلمين إلى وادى حنين كان العدو كامناً فى شعبه، فقاموا على المسلمين قومة رجل واحد قبل أن يتمكن المسلمون من تهيئة صفوفهم ، فانهمزمت مقدمة جيش المسلمين ، وكاد جيش المسلمين يتفرق مع كثرة عدده ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس أن ينادى فى جيش المسلمين بالثبات ، فاجتمعوا واقتتل الفريقان ، ولم تمض ساعات حتى انهزم الأعداء هزيمة شديدة ، وقد قتل من تقيف وهوازن نحو سبعين ، وغنم المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وإبل.

ثم توجه رسول الله صلى عليه وسلم إلى تقيف بالطائف فحاصرها مدة ولم يفتحها ، وبعد رجوعه منها أتاه وهو بالجرعانة وفود من هوازن يلتمسون منه رد نسائهم وأبنائهم الذين سباهم المسلمون، فقال عليه الصلاة والسلام: ما كان لي ولبنى عبد المطلب فقد رددته إليكم. فقال المهاجرون والأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فرُدَّتْ إلى هوازن نسائهم وأبنائهم.

ثم قام عليه الصلاة والسلام من الجعرة إلى مكة معتمراً ، فأدى العمرة وعاد بعد ذلك إلى المدينة ، فوصلها لست بقين من ذى القعدة.

### غزوة تبوك

أقام عليه الصلاة والسلام بالمدينة إلى منتصف السنة التاسعة للهجرة ، ثم بلغه أن الروم يتجهزون في تبوك لحربه بعد ما كان بينهم وبين المسلمين في حادثة مؤتة ، فتجهز عليه الصلاة والسلام لغزوهم في ثلاثين ألف مقاتل ، وكان المسلمون إذ ذاك في زمن عسرة وجذب، فلم يعقهم ذلك عن التأهب لقتال الأعداء ، وتصديق أبو بكر لذلك بجميع ماله؛ وعثمان بن عفان بمال كثير ، فخرج عليه الصلاة والسلام حتى وصل تبوك فلم يجدهم بها ، فأقام بضع عشرة ليلة ، ثم قفل إلى المدينة ، وهذه آخر غزواته صلى الله عليه وسلم.

### عام الوفود

قد عرفت أن الدعوة إلى الإسلام كانت في مبدئها سرّاً وخفية، وأن الذين دخلوا في الإسلام إذ ذاك أفراد قليلون ، وبعد الجهر بالدعوة أخذ

عددهم يزداد قليلاً قليلاً ، إلى أن أذن له صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة ، فازداد عددهم بدخول عرب المدينة ومن حولها في الدين وحداننا وجماعات ، ولكن الدعوة لم تصل إلى الدرجة المطلوبة من الانتشار والعموم حتى تم صلح الحديبية بين قريش والمسلمين ، فكان ذلك الصلح سبباً كبيراً من أسباب فشو الدعوة وعمومها حيث أمنت الطرق وتمكن الرسول عليه الصلاة والسلام من إرسال الرسل والكتب إلى الملوك والأمم والقبائل ، ثم تم الأمر بفتح مكة ودخول أعظم قريش في الإسلام ، وانتشار القرآن بأملوبه البديع وحكمه البالغة المؤثرين في عقول العرب ذلك التأثير الذي لانت به شكيمتهم وشرعوا يقدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجاً ، وقد كان أكثر ذلك في السنة التاسعة للهجرة.

فمن ذلك وفد (تقيف) جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم عقب مقدمه من تبوك يريدون الاسلام ، وطلبوا أشياء أباهم عليهم وأشياء أعطاهم لهم.

ووفد (نصارى نجران) ، وهؤلاء لم يسلموا بل رضوا بدفع الجزية ووفود (بنى فزارة) قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين. ووفد (بنى تميم) جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أشرفهم ونادوه من وراء الحجرات ، وبعد تبادل الخطب وإنشاد الشعر بين خطبائهم وشعرائهم وخطباء المسلمين وشعرائهم أسلموا وعادوا إلى أوطانهم.

ووفد (بنى سعد بن بكر) يؤمهم ضمام بن ثعلبة ، الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة كثيرة وأجابه عنها ، فأسلم وعاد إلى قومه فما بقى منهم أحد إلا أسلم من يومه.

ووفد (كندة) في مقدمته الأشعث بن قيس ، وقد أسلموا بعد أن سمعوا أوائل سورة الصافات.

ووفد (بنى عبد القيس بن ربيعة) وكانوا نصارى فأسلموا جميعاً .  
ووفد (بنى حنيفة بن ربيعة) فأسلموا ، وكان فيهم مسيلمة بن حنيفة ،  
الذي لقب بالكذاب لادعائه النبوة بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
الدار الآخرة.

ووفد (طليء من قحطان) يقدمهم زيد الخيل ، وقد أسلموا جميعاً .  
ووفد (بنى الحارث بن كعب) فيهم خالد بن الوليد جاؤا مسلمين .  
ووفد آخرون من قبائل شتى من (بنى أسد) و (بنى محارب) و(همدان)  
و(غسان) وغيرهم ، منهم من جاء مسلماً ، ومنهم من جاء للإسلام وأسلم ،  
ورسل من ملوك حمير وغيرهم ، جاؤا يخبرون بإسلامهم.

وهكذا دخل الناس في دين الله أفواجا ، حتى بلغ من كانوا مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة أكثر من مائة  
ألف ، والذين لم يحضروا حجة الوداع من المسلمين كانوا أكثر من ذلك أضعافاً  
مضاعفة ، (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ).

### حجة الوداع

بعد أن عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، بعث أبا بكر  
الصديق رضى الله عنه في ذى القعدة إلى مكة سنة تسع من الهجرة ليحج  
بالناس ، وفي أواخر ذى القعدة من السنة العاشرة قام عليه الصلاة والسلام إلى  
مكة في جمع عظيم ، وأحرم للحج عندما سارت به راحلته وقال: لبيك الله اللهم  
لبيك . لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك . ولم يزل

سانرا حتى دخل مكة ضحوة يوم الأحد لأربع خلون من ذى الحجة ، وكان دخوله من ثنية كداء ، فطاف بالبيت سبعا ، واستلم الحجر الأسود ، وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم ، وشرب من ماء زمزم ، وسعى بين الصفا والمروة سبعا راکبا على راحلته ، وفى الثامن من ذى الحجة توجه إلى منى فبات بها ، وفى التاسع منه توجه إلى عرفة وخطب خطبته المشهورة بخطبة الوداع. ابتدأها بعد الثناء على الله تعالى بقوله: أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم ، فإني لا أرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا. ثم قال: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها . ثم قال: أيها الناس إن لسانكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدا تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة. أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله. ألا هل بلغت ، اللهم اشهد. ثم قال: أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد. كلکم لآدم وأدم من تراب. أكرمکم عند الله أتقاکم. ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى. ألاهلی بلغت ، اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

وقد اشتملت هذه الخطبة العظيمة على غير ذلك من أحكام الله تعالى وحدوده.

وقد أنزل الله عليه فى ذلك اليوم قوله سبحانه وتعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً).

وبعد أن أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مناسك الحج: من رمى الجمار والنحر والحلق والطواف ، أقام بمكة عشرة أيام ثم قفل إلى المدينة صلى الله عليه وسلم.

## مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته

فى أوائل صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة مرض النبي صلى الله عليه وسلم بالحمى ، واستمر ثلاثة عشر يوماً يتنقل فى بيوت أزواجه ، ولما اشتد عليه مرضه استأذن منهن أن يمرض فى بيت عائشة فأذن له ، ولما تعذر عليه الخروج الى الصلاة قال : مروا أبابكر فليصل بالناس ، ولما رأى الأنصار اشتداد مرضه أطافوا بالمسجد قلقيين ، فخرج إليهم عليه الصلاة والسلام معصوب الرأس ، يخط برجليه متوكئاً على على والفضل يتقدمهم العباس ، حتى جلس فى أسفل مرقاة المنبر وأحاط به الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم. هل خلد نبي قبلى فيمن بعث الله فأخلد فيكم؟ ألا إنى لاحق بهم وإنكم لاحقون بى ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصى المهاجرين فيما بينهم. إلى أن قال : ألا وأنى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ، ألا فإن موعدكم الحوض ، ألا فمن أحب أن يردّه على غدا فليكف يده ولسانه إلا فيما ينبغى.

وبينما المسلمون فى صلاة الفجر يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول؛ وأبو بكر رضى الله عنه يصلى بهم؛ إذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف (ستر) حجرة عائشة رضى الله عنها ، فنظر إليهم وهم فى صفوف آصلاة وتبسم ، فظن أبو بكر أن رسول الله يريد أن يخرج للصلاة فتتقير إلى

الصف ، وكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ، ثم حضرته الوفاة ورأسه الشريف على فخذ عائشة رضى الله عنها ، فقال: اللهم في الرفيق الأعلى. ولم تأت ضحوة ذلك اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحياة الدنيا ولحق بربه عز وجل .

ولم يكن أبو بكر رضى الله عنه موجودا في ذلك الوقت بالقرب من منزل عائشة ، فلما حضر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يقبله ويبكى ويقول : صلوات الله عليك يا رسول الله ، ما أطيبك حيا وميتا. ثم خرج إلى الناس وقال: ألا إن من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

ثم مكث عليه الصلاة والسلام في بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الأربعاء ، حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة لهم ، وتفرغوا لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه ، فغسله على بن أبى طالب بمساعدة العباس وابنيه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ، ووضع على سريره في بيته ، فدخل الناس يصلون عليه فرادى لا يؤمهم أحد ، ثم حفر اللحد في موضع وفاته من حجرة عائشة ورش بالماء ، وأنزله فيه على العباس وولده الفضل وقثم ، وقد رفع قبره الشريف عن الأرض قدر شبر .

وقد بلغ عمره الشريف ثلاثا وستين سنة ، مكث منها بمكة ثلاثة وخمسين سنة ، وبالمدينة المنورة عشر سنين ، صلى الله عليه وسلم وعظم وكرم .

## صفة النبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جميل الخلقة، أزهر اللون <sup>(١)</sup> يتلألاً وجهه تألؤ القمر ليلة البدر، عظيم الرأس <sup>(٢)</sup> ، شعره بين الجعودة والسبوطه ، كأنه مشط فتكسر قليلاً ، لا يتجاوز شعره شحمة أذنيه إذا لم يقصره ، وكان واسع الجبين ، أزج الحواجب بدون اقتران، فى وسط أنفه ارتفاع قليل من غير طول فيه ، ليس بضيق الفم ولا واسع ، رقيق الأسنان مفلجها ، أسيل الخدين <sup>(٣)</sup> ، غزير شعر اللحية ، جميل العنق ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، وموصول ما بين اللبة والسرة بالشعر ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى للصدر ، وليس على ثدييه وبطنه شعر غير ما ذكر .

وكان معتدل الأعضاء فى سن معتدل ، ليس بمسترخى اللحم ، وكان طويل الزندين ، رحب الراحتين ، ممتلئ الكفين والقدمين ، متجافى الإخصيين <sup>(٤)</sup> ليس فى قدميه غضون <sup>(٥)</sup> ولا تشقق ، بحيث إذا أصابها الماء لم يبق له أثر بهما . وكان متوسط القامة لا هو بالطويل ولا بالقصير ، إذا مشى رفع رجليه بنشاط ، وأوسع فى خطاه ، ومال إلى منن المشى برفق ووقار ، وكأنما هو فى مشيته ينزل من مكان منحدر . وكان خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أكثر

(١) أى أبيض مشرباً بحمرة .

(٢) عظماً مناسباً لبقية أعضائه .

(٣) أى غير مرتفع الوجنتين

(٤) أى أن باطن قدميه لا يصل إلى الأرض عند وضعهما عليها .

(٥) أى تكاميش .

من نظره إلى السماء ، وإذا التفت التفت جميعاً، جل نظره الملاحظة ، يتأخر عن أصحابه في المشى ، ويبدأ من لقيه بالسلام.

### نبذة في شمائله وأخلاقه الشريفة صلى الله عليه وسلم

هانحن قد أوقفناك على خلاصة وافية من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، تعرف منها كيف كان يجاهد في إبلاغ دعوة ربه ، وكم قاسى من المشدائد والمصاعب في سبيل إرشاد الخلق إلى طريق الحق. ولنسرد لك جملة وجيزة من شمائله الشريفة وأخلاقه الكريمة وآدابه الحميدة ، راجين أن يوفقنا الله تعالى وإياك للتخلق بهذه الأخلاق الكريمة ، والتأدب بتلك الآداب الفاضلة.

قد جمع الله تعالى لنبيه وحببيه محمد صلى الله عليه وسلم بين محاسن الخلق والخلق ، ومنحه سبحانه وتعالى من هذه وتلك أكملها وأعدلها ، فكان جميل الصورة ، متناسب الأعضاء، نظيف الجسم ، طيب الرائحة ، منزها عن الأذى والعيوب ، معتدل الحركات ، حسن الشمائل ، مقتصراً من ضروريات الحياة كالأكل والنوم على قدر الحاجة ، وكان وافر العقل ، ذكى اللب ، قوى الحواس ، فصيح اللسان ، بليغ القول ، حليماً عفواً ، صبوراً على ما يكره ، لا يغضب إلا لله ولا ينتصر لنفسه ، ولم يضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله فلم يضرب غلاماً ولا امرأة.

وكان شجاعاً ذا نجدة وفتوة ، لا يهاب أحداً ، ولا يفر حيث تفر الأبطال، وكان جواداً كريماً سمحاً سخياً.

وكان أشد الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات إغضاءً لا يشافه أحداً بما يكره ، فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً بالأسواق ولا عياباً ، ولا يجزى بالسينة سينة بل يعفو ويصفح .

وكان حسن العشرة ، كامل الأدب ، واسع الخلق ، دائم البشر ، لين الجانب ، رؤوفاً رحيماً ، يكرم كريم كل قوم ويولييه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ، من غير أن يطوى عن أحد بشره ، يتواضع في غير منقصة ، ويتفقد أصحابه ، ويعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جلسه أن أحداً أكرم عليه منه . من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول . قد وسع الناس خلقه فصار لهم أبا ، وصاروا عنده في الحق سواء .

وكان إذا أتى إلى مجلس جلس حيث ينتهي به المجلس <sup>(١)</sup> صلى الله عليه وسلم وعظم وكرم .

وكان يجيب من دعاه ولو عبداً أو أمة ، ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويكافئ عليها .

وكان يخالط أصحابه ويحدثهم ، ويعود مرضاهم ، ويمازحهم أحياناً ولا يقول إلا حقاً .

وكان من خلقه الوفاء وحسن العهد والعدل والأمانة والعفة والصدق والمروءة .

وكان في أعظم حالات الوقار والتؤدة وحسن السميت .

---

(١) أى فى أقرب مكان يصادفه صلى الله عليه وسلم .

وكان في خوف ربه وطاعته له عز وجل وإخلاصه في عبادته بالدرجة  
التي ليس بعدها غاية، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم.